t.me/yasmeenbook

عبدالله غلوم الصالح

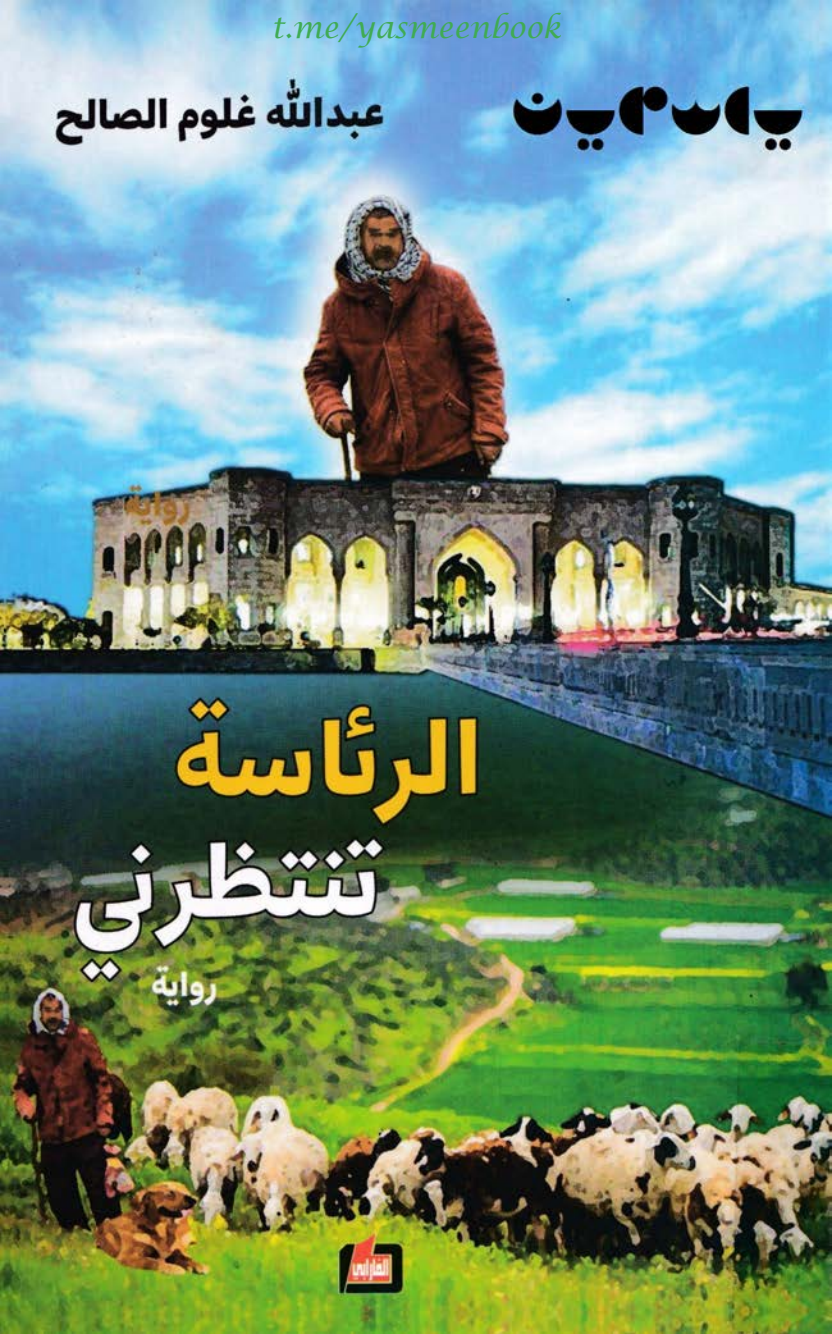

t.me/yasmeenbook

.... لم يكن منشار بن بتار الأشول يعلم عندما ولدته أمه مسحة بنت كحلان الأعور بأن نصيبه وقدره في بداية حياته أن يعيش مشرداً بين الماشية والأغنام والكلاب الضالة، حاله كحال والده بتار الأشول الذي فارق الحياة قبل أن يرى منشار نور الحياة، وحاله كحال جميع الصبية الذين ينحدرون من أسر فقيرة، فليس في العشيرة من أعمال ونشاطات سوى القيام بخدمة الأسر الكبيرة، أو رعي الماشية والأغنام، أما التعليم فلن يحصل عليه إلا أبناء زعماء العشائر ووجهاء القوم ومن يتولى زعيم العشيرة رعايتهم على نفقته الخاصة، ورغم هذا الضياع والتشرد في دهاليز الحياة، فقد تمكن منشار أن يظهر بمظهر الشخصية الوطنية المناضلة، ويصبح أقوى رئيس لأم الطبول، إن لم يكن للعالم العربي أجمع!!

عبدالله غلوم الصالح

- **ليسانس في الدراسات الاجتماعية والنفسية - جامعة عين شمس 1964م.**
- **وكيل مساعد أسبق بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل في دولة الكويت.**
- **عضو مجلس إدارة بمنظمة العمل الدولية سابقاً (1975م - 1978م).**
- **عضو مجلس إدارة بمنظمة العمل العربية سابقاً ، ورئيس لمجلس الإدارة (1979م - 1982م).**
- **من مؤسسي جمعية حقوق الانسان الكويتية، والتحالف الوطني الديموقراطي في الكويت.**

ياسمين

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

ياسمين
قصص
روايات

t.me/yasmeenbook

الرئاسة تنتظرني

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

عبد الله غلوم الصالح

الرئاسة تنتظرني

رواية

دار الفارابي

t.me/yasmeenbook

الكتاب: الرئاسة تنتظرني
المؤلف: عبد الله غلوم الصالح

الناشر: دار الفارابي - بيروت -لبنان
ت: 301461(01) - فاكس: 307775(01)
ص.ب: 11/3181 - الرمز البريدي: 2130 1107
www.dar-alfarabi.com
e-mail: info@dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى: 2023م/1444هـ
ISBN:978-614-485-120-3

© جميع الحقوق محفوظة

تباع النسخة إلكترونياً عبر موقع الدار.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي الدار.

t.me/yasmeenbook

المحتويات

شكر وتقدير.....9
1 – طفولة نزقة في بيئة عشائرية متخلفة.....11
2 – من البراري والمواشي إلى اللجوء السياسي.....37
3 – مكافأة مستحقة على جهود استثنائية.....60
4 –عهد دموي يقود إلى استعمار جديد.....79
5 – عقبتان تحاصران العم سام للانفراد بالعالم.....101
6 – غزو الجار يرتد إلى الدار.....125
7 – احتلال أم الطبول نهاية الجنرال.....148
8 – من القبو إلى المشنقة ثلاث سنوات مثيرة.....161
9 – الاستعمار الجديد يمزق العالم العربي.....182
10 – المستعمر الجديد يباشر تشريح جسد الأمة.....194
11 – نهاية المستعمر الجديد والعبرية المدللة.....211

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

شكر وتقدير

كل الشكر والتقدير للزميل المبدع عوض عجيل الشمري
على تصميمه غلاف الرواية.
نتمنى له دوام الصحة والعافية والعطاء المميز.

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

1

طفولة نزقة في بيئة عشائرية متخلفة

لم يكن منشار بن بتار الأشول يعلم عندما ولدته أمه مسحة بنت كحلان الأعور بأن نصيبه وقدره في بداية حياته أن يعيش مشرداً بين الماشية والأغنام والكلاب الضالة، حاله كحال والده بتار الأشول الذي فارق الحياة قبل أن يرى منشار نور الحياة، وحاله كحال جميع الصبية الذين ينحدرون من أسر فقيرة، فليس في العشيرة من أعمال ونشاطات سوى القيام بخدمة الأسر الكبيرة، أو رعي الماشية والأغنام، أما التعليم فلن يحصل عليه إلا أبناء زعماء العشائر ووجهاء القوم ومن يتولى زعيم العشيرة رعايتهم على نفقته الخاصة.

ونظراً لانشغال والدته مسحة بأمور نسوية عشائرية طوال وقتها، وعدم إعطاء الاهتمام لابنها الوحيد، سوى نهاية كل شهر عندما تقوم بتحصيل أجور رعي الماشية والأغنام من ملاكها، لذلك تاه الصبي الصغير منشار مع الصبية المشردين في حواري

وأزقة القرية، أو في البراري الشاسعة، دون أن يجد من يوجهه ويرشده إلى طريق الصواب، كأبناء كبار القوم الذين يلتحقون بالمدارس ومنها إلى الكليات العسكرية ثم يلتحقون بسلك الشرطة أو الجيش.

وعندما تقدم به السن لم يكن أمام منشار خيار آخر يحسم مستقبله بسبب الجهل والضياع، سوى الاستمرار في امتهان مهنة رعي الماشية والأغنام، وهي مهنة ورثها عن والده بتار الأشول، الذي رحل عن الحياة وهو لا يعرف شيئاً عن طبيعة الحكم في بلده، ولا قانوناً من قوانينه، ولا من يحكمه، رجل أم امرأة، ولشدة خوفه من زوجته كان يعتقد أن من يحكم البلد هو امرأة.

لم يكن بتار الأشول يعلم شيئاً في هذه المسائل الإدارية المعقدة في دماغه، سوى اسم العشيرة التي ولد فيها وينتمي إليها (عشيرة أفخاذ نجوى المقدام)، وشيخ العشيرة الذي يدين له الجميع بالولاء والطاعة، الزعيم الشيخ سوران بن سهيل المقدام.

وعليه لم يكن بتار الأشول سوى ذلك الرجل الأمي الذي لا يعترف بأية قوانين أو قرارات أو أوامر تصدر عن الدولة، إلا ما يصدر عن زعيمهم، زعيم العشيرة وحاكمها من أوامر ونواهٍ، خوفاً من سطوته وسطوة أبنائه الخمسين الذين ينتشرون في الطرقات والحواري والأسواق كالحشرات الضارة المعدية، يثيرون الرعب

t.me/yasmeenbook

في مجتمع العشيرة طوال الليل والنهار، ولا يرحمون كبيراً أو صغيراً.

كان بتار الأشول، الاسم على غير مسمى، شخصاً قصير القامة، عريض المنكبين، ذا عينين جاحظتين، وشعر كث وغزير، رجل مسالم ومطيع وخادم للجميع، وكان طوال الوقت يتنقل بين الحواري والأسواق الشعبية، يردد بيتين من الشعر الشعبي الغنائي الركيك غير الموزون، لا يعرف المرء كيف حفظهما وهو دائماً في حالة من الألم والتأثر مع المحيط التعيس الذي يعيش فيه، وما يعانيه من قسوة الحياة، وشعوره بأن أجله بات قريباً، أبيات يقول فيها:

أنا اتمنيت أموت لحظة ما أعوفك

وهالعينين ما انخلقت إلا لشوفـك

ثم يردفها ببيت آخر أسوأ منها، تجعل الدموع تنساب لا إرادياً من العين من شدة الضحك عندما يقول:

سنين تفـوت حزن وسكوت وشرود

عساني أموت لأني عفته وما أشوفـه

وعلى سبيل السخرية والدعابة والتهكم، كان بعض الفضوليين يطلقون على بتار الأشول لقب قيس المجنون، لكن بدون ملوّح أو ليلى العامرية، ذلك لأن إمكانياته الفكرية والذهنية

والجسدية وقامته الكروية، وأوضاعه الاجتماعية التعيسة التي يعيشها في أسرة متسلطة، لا تسمح له بأكثر من مسحة واحدة في حياته، وإلا سيجد نفسه خلف الشمس في وضح النهار.

من المؤسف والمخجل، لوحظ أن هناك أكثر من مرجعية في العشيرة تشير بأن منشار الأشول لم يترب في كنف هذا الرجل النكرة الذي كان يحمل على كتفيه مصائب الدهر، فضلاً عن النظرة الدونية والاحتقار اللذين كانا يلاحقانه أينما يذهب، فضلاً عن أنه كان يحمل في الوقت نفسه إرثاً كبيراً من الجهل والتخلف في جميع مناحي الحياة، ولم يكن يعلم ما يدور حوله في العشيرة سوى ما يتهامس به بعض الناس، بأن الطفل القادم لبتار الأشول ليس من صلبه، وربما يكون مجهول الهوية، وسيظل كذلك حتى آخر عمره.

هذه الإشاعة غير المؤكدة وحتى تصبح غير حقيقية، تعتبر بطبيعة الحال خدشاً عميقاً ووصمة عار في مثل هذه المجتمعات الشديدة المحافظة، إشاعة جعلت منشار غير مستقر الحال والبال، إشاعة جعلته دائماً في دوامة من الفكر المضطرب، بين أن يصدق ما يسمعة أو يتجاهل ما يمر أمام أذنيه من كلمات وعبارات جارحة كرياح الصحراء العاصفة، خاصة وأن والدته القوية القاسية كانت تنهره وتصرخ به كلما يريد أن يفتح حواراً معها حول موضوع نسبه

t.me/yasmeenbook

وما يهمس به أبناء العشيرة، فيخاف ويرتعد ويتراجع وتصيبه حالة من الرعشة وهو يشاهدها وعلامات الثورة والغضب يمتلكها ويكاد يقطع أوصال وجهها وجسدها ورعشة يديها، فينصرف هارباً مع ماشيته وأغنامه، ويعود إلى البراري يندب حظه العاثر، ويلعن من أعماقه من أتوا به إلى الحياة، وكان يحاول بين حين وآخر أن يقنع نفسه بما لا يصدق، بأن العالم مليء بصور من هذه المآسي، وعليه أن يشق طريقه في الحياة دون مبالاة بصدى الماضي البغيض.

كثيراً ما كان يتساءل بسبب ودون سبب: «هل حقاً أنا أتيت إلى هذه الدنيا من ظهر هذا الرجل النكرة، وهذه المرأة المتسلطة التي تشبه البرق والرعد في ليلة ظلماء ساعات الأمطار والعواصف؟ أم جئت من ظهر رجل وامرأة أفضل منهما بكثير، لكن الظروف والأحوال السيئة قذفت بهما خارج هذا العالم العشائري بعد ولادتي مباشرة، ولم أجد حضناً دافئاً لحظتئذ يحضنني ويحميني سوى حضن هذين الزوجين اللذين يشبهان قطبين متنافرين غير متساويين، لا يلتقيان إلا على الشر، وهذا هو حظي وقدري الذي جئت معه إلى هذه الدنيا الفانية!!».

كان الجواب الذي يتلقاه منشار الأشول دائماً، صحيح أن الرجل نكرة غير معروف الأصل والفصل والمنبت، لكنه خادم

مطيع في مجلس شيخ العشيرة، رجل مسالم على باب الله، لا يهش ولا ينش!! أما المرأة المسترجلة المتسلطة مسحة والدته، فالجميع يعرفها حق المعرفة، وهي من نسل أحد أفخاذ قبيلة نجوى التي انضمت إلى العشيرة في الآونة الأخيرة، وأصبحت بحكم هذه العضوية لها مطلق الحق في المشاركة في جميع الأعمال والمهمات، حتى في الحروب التي تشتعل بين القبائل والعشائر بين حين وآخر، حيث تراها تارة تنتخي باسم نجوى اسم قبيلتها، وأخرى باسم المقدام اسم عشيرتها، وثالثة تنتخي باسم ابنها منشار!! دون أن تذكر شيئاً عن زوجها بتار الأشول، وكأنها أتت بهذا الابن من دار الأيتام، ولا تريد أن تفتح هذه الصفحة اللعينة المؤلمة في حياة ابنها منشار، فيمطرها ليل نهار بسيل من الأسئلة المحرجة.

لم تكن مسحة بنت الأعور امرأة تقليدية كبقية نساء العشيرة، بل كانت أخت الرجال، يهابها الكبار والصغار، نساء ورجال، حتى زوجها بتار الأشول، الاسم على غير مسمى، كثيراً ما دخل في حالة من الرعشة المستمرة، كلما شاهدها وهي في حالة غضب شديد، وصراخ يصم الآذان، ويشل اللسان، بل كثيراً ما كان يختبئ خلف الأبواب والجدران والأشجار عندما يشاهدها في الأسواق الشعبية، خوفاً من أن تمسك به وتهينه أمام المارة، وتسأله عن

t.me/yasmeenbook

الأسباب التي دعته للتجوال في الأسواق في مثل هذه الساعات غير المناسبة؟ فماذا يريد وهو يحوم حول النساء كالتيس الهارب من الماشية؟ وماذا يبحث عنه، وهي تعلم أنه لا يملك فلساً واحداً في جيبه، اللهم إذا كان مجيئه لغرض آخر!! كمطاردة النساء والتحرش بهن بالمجان، فتكون النتيجة ضربة كف من مسحة على الوجه، وضربة نعال على الرأس، أو سلسلة من الشتائم النارية، في اللحظة التي يعض فيها بتار أطراف ثوبه، ويطلق ساقيه للريح!! قبل أن تتطور الواقعة وتتكالب عليه النسوة في السوق، عندئذ لا يعرف من تضربه أو تركله من النسوة بأرجلها.

شعرت مسحة بنت الأعور والدة منشار بالأحاديث واللغو الذي يدور بين أبناء العشيرة حول علاقتها الزوجية غير المتكافئة بزوجها بتار الأشول، وخوفاً من أن تتسرب تلك الأحاديث والأقاويل والتعليقات السمجة إلى مسامع ابنها منشار، ويترسخ ذلك الساقط من الكلام في فكره ووجدانه ومشاعره، سارعت وفي محاولة لقطع الطريق أمام أصحاب الأقاويل والأحاديث الفارغة التي تطلق على عواهنها، إلى مكاشفة ابنها بالحقيقة.

فطلبت منه ذات يوم أن تخرج معه إلى البراري والسهول الخضراء لتعيد معه شيئاً من ذكريات الماضي، فكان لها ما أرادت، وخرجا معاً برفقة الماشية والأغنام، وفي الطريق أخذت مسحة

تنشد بعض الأبيات الشعرية من باب التسلية، من أشعار الشاعر الجاهلي امرئ القيس، اليمني الأصل والمنبت، والتي تقول:

تعلَّق قلبي بطفلة عربية
تنعم في الديباج والحلي والحَلل
لها مُقلة لو أنها نظرت بها
إلى راهبٍ قد صام لله وابتهل
لأصبح مفتوناً مُعنى بحبها
كأن لم يصم لله يوماً ولم يصل

ثم تضيف على ما جاء على لسانها كأي عاشقة شابة مجروحة في الهوى وهي تقول:

قتيل لوادي الحب من قاتل
ولا ميت يعزي هناك ولا زُمِل
فتلك التي هام الفؤاد بحبها
مهفهفة بيضاء دُرية القبل

وتنتهي مسحة من حالة الانسجام مع امرئ القيس بهذه الأبيات الغرامية الفاضحة، التي لم يكن هذا من طبعها في أي يوم أو موقف من المواقف.. أبيات تقول بكل جرأة وشجاعة:

t.me/yasmeenbook

فقبلتها تسعاً وتسعين قبلة
وواحدة أخرى وكنت على عجل
وعانقتها حتى تقطع عقدها
وحتى فصوص الطوق من جيدها انفصل
كأن فصوص الطوق لما تناثرت
ضياء مصابيح يطايرن عن شعل
وآخر قولي مثل ما قلت أولاً
لمن طلل بين الجُديَّة والجبل
حجازية العينين نجدية الحشى
عراقية الأطراف رومية الكفل
تهامية الأبدان عبسية اللمى
خزاعية الإنسان دريرة القبل

أخذ منشار نفساً عميقاً، ألحقه بشهيق وزفير وهو يقول: «كم تمنيت يا أمي العزيزة أن أصبح يوماً شاعراً فحلاً يعرفني القاصي والداني كالشاعر المصري فريد شوقي.. آسف أحمد شوقي، فأهيم في البراري والقفار وأنا أنشد ما يجول بخاطري وبرأسي وصدري من آلام وجوارح مكبوتة».

أجابته والدته بثقة عالية: «ستصبح بإذن الله شاعراً وأديباً، والزمن كفيل بذلك يا بني، ففي العشيرة من الشعراء والأدباء لم

يكونوا في شبابهم يعرفون طريق الشعر والأدب، فأصبحت اليوم مهنتهم ومورد رزقهم، وأنت لست أقل شأناً منهم إن لم تكن أفضل منهم في المستقبل، وهذا ما خبرتني به العرافة الست حسنيَّة المصرية، قارئة الفنجان وضاربة الودع يوم ولدت، بأنه سيكون لك شأن عظيم لم يكن في الحسبان».

ضحك منشار من الأعماق وهو يقول لوالدته: «هذه ليست عرافة، بل نصابة تستدرج المغفلين والبسطاء وأصحاب الحاجة للحصول على شيء من المال بدلاً من الشحاتة، بالله عليك يا أمي العزيزة، كيف لي شأن عظيم وأنا طوال يومي مع الأغنام والماشية والكلاب الضالة، وليس لي عالم غيرهم يمكن أن أتعلم منه شيئاً عظيماً، دعكِ من هذه الأحلام الجبارة والغيبيات المضللة وابحثي لي عن عمل تافه لدى شيخ العشيرة أو أحد كبار القوم، لعلي أستطيع أن أبرز من خلاله وأصبح غفيراً معتبراً في العشيرة».

وبعد فترة صمت وهدوء التفتت إليه أمه ثانية لتقول له: «أنا لم أصاحبك في رحلتك اليوم مع الماشية والأغنام لأقول لك شعراً، وإن ما قلته لم يكن سوى تسلية طريق، لكن هدفي من مصاحبتك يا بني هو ما يشغل بالي وبالك على الدوام، وهو أمر على درجة كبيرة من الأهمية، أمر يقلقني كثيراً ويدعوني للتفكير باستمرار في مستقبلك، لعلي أستطيع أن أقدم لك شيئاً مفيداً ومهماً قبل أن أفارق الحياة».

t.me/yasmeenbook

وتمضي مسحة في التعبير عن خلجات فؤادها وجوارحها وما يدور في خاطرها قائلة: «من المؤكد يا بني أنك سمعت وتسمع بين حين وآخر أطراف أحاديث أعتبرها من إسقاطات القول، وخاصة في مسائل التنابز والتفاخر في الألقاب، أو الجدل المرسل الذي يستخدم عادة لتعزيز الحوار أو الضرب تحت الحزام، كالقول: (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً)، أحاديث تدور حولي وحولك، وأنا في هذه الرحلة الجميلة أحب أن أوضح لك شيئاً من الحقيقة».

ثم مضت مسحة مسترسلة في حكايتها التي تشبه حكايات الزير سالم أو حكايات دون جوان بطل الفجور وانتهاك الحرمات، وهي تقول: «تعرفت إلى والدك حبيبي منشار ونحن صغار السن دون الرابعة عشرة من العمر، دفعت ظروف المعيشة وقسوتها أسرتينا أن نعمل في رعي الماشية والأغنام، وكانت رحلاتنا اليومية فرصة سانحة للتعارف كأخ وأخته، وكنا نشارك البعض في لقمة العيش في فترة الغداء، مما يحمله كل منا من وجبة بسيطة أعدت لنا من قبل أسرنا، وكانت أحاديثنا طوال الوقت حديث المراهقين أخجل أن أذكر لك شيئاً منها، وأحياناً تكون أحاديثنا طفولية تثير الضحك والعجب».

توقفت مسحة قليلاً عن الحديث، وهي تتحسر على ما فاتها من الزمن مع الزوج النكرة، لعل ذلك يكون عبرة لابنها منشار في

t.me/yasmeenbook

القادم من العمر وهي تخبره ناصحة: «يا بني لقد تقدم بنا السن ونحن نزاول مهنة الشاوي، المهنة الحقيرة الشاقة صيفاً وشتاءً، والمصيبة إذا فقد رأس أو أكثر من الأغنام ساعة الغفلة وانشغالنا بعضنا ببعض، أو هجوم قطعان من الذئاب أو قطاع الطرق علينا».

وتضيف قائلة في السياق نفسه: «كانت مهنة شاقة وخطرة يا بني، فضلاً عن تقلبات الجو بين حرارة صيف عالية مصحوبة برياح وغبار وتراب، وبرودة شتاء قارسة تقشعر لها الأبدان، ولم يكن أمام والدك فرصة لتعلم مهنة ذات قيمة اجتماعية ومردود مالي جيد، فالأعمال والمهن محدودة وحقيرة في معظم الأحوال، ينفر منها أبناء المشايخ والمقربين في العشيرة، وأبناء وأقارب الضباط المتنفذين، لأنهم يتطلعون إلى الأعمال والوظائف والمهن الممتازة ذات السمعة الطيبة والعالية في أوساط العشيرة ويستأثرون بها».

وتمضي مسحة في توضيح المزيد من الماضي التعيس لابنها قائلة: «لما كان والدك من الفقراء المهمشين في مجتمع العشيرة، فقد ظل المسكين طوال طفولته وجزءاً من شبابه المبكر راعياً للماشية والأغنام، وعندما تقدم به السن قليلاً، وتحديداً قبل زواجنا بعامين أصبح خادماً في مضارب أحد شيوخ العشيرة، أما أنا فقد كنت أقوى وأذكى من والدك، وقد استطعت أن أقنع

t.me/yasmeenbook

أسرتي بالالتحاق بإحدى الكتاتيب النسوية لأتعلم شيئاً من العلم والمعرفة، والقليل من القراءة والكتابة، وهذا ما حصل كما لاحظت وأنا أقرض الشعر، وأتلو عليك أبياتاً من أشعار حجر بن الحارث الكندي، الملقب بامرئ القيس، وهو شاعر يمني الأصل كما قلت لك سابقاً».

وتواصل مسحة الأعور حديثها ونصائحها لابنها منشار قائلة: «هذه اللقاءات الانفرادية، والعمل المشترك في المراعي والوديان، جعلتني عاطفية ووجدانية إلى أبعد الحدود، وقريبة ولصيقة بوالدك بتار الأشول، فقررت الأسرتان أن نتزوج في الحال، ونقفل أبواب جهنم التي تبث الإشاعات والأخبار والروايات المسمومة».

وتمضي الوالدة مسحة في استكمال ما بدأته من حديث قائلة: «كنت حبيبي منشار أنت الثمرة الحلوة التي فرحنا بها أنا ووالدك، لذلك عليك يا بني بعد انتهاء موسم الشتاء والربيع، ودخول فصلي الصيف والخريف أن تترك مهنة الشاوي ورعي الأغنام والماشية مؤقتاً، وتستعد للالتحاق بكتّاب الملا ساهر الراجي، لتتعلم شيئاً من أصول القراءة والكتابة وغيرها من ألوان المعرفة البسيطة، قد تستفيد منها في مستقبلك المجهول!!».

فرح منشار كثيراً لمقترح والدته، لكنه لم يكن مقتنعاً بحديثها بشأن العلاقة الساخنة بينها وبين والده قبل الزواج، ورأى أنه من

الأفضل إلغاء هذه المرحلة من تاريخ الأسرة واعتبارها كأن لم تحدث، والبدء بحياة ومسيرة جديدة، يجمع فيها بين رعي الماشية والأغنام في فصلي الشتاء والربيع، ويتفرغ لكتّاب الملا ساهر الراجي في فصلي الصيف والخريف.

شرع منشار في تنفيذ أوامر والدته وفقاً للخطة التي رسمتها له، والتي استغرقت حوالي خمس سنوات، تعلم فيها الكثير من مناهج الكتّاب، وأصبح يتقن القراءة والكتابة، ويحفظ الكثير من الأناشيد الوطنية، فتغيرت مفردات كلامه في الحديث بين الفصحى والعامية، مما شجع أحد المطبلين المنافقين الذي تربطه صلة قرابة بوالدته أن يطلب من شيخ العشيرة سوران المقدام، أن يضم الصبي منشار بن بتار الأشول إلى جملة الخدم في القصر، بعد أن أتقن فن رعي الماشية والأغنام، وتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن والكثير من النصوص الأدبية في كتّاب الملا ساهر الراجي، واصفاً إياه بعبارات تجعل شخصيته مناسبة وصالحة لكل مكان وزمان، مادحاً إياه بأنه: «يحمل صفات جسدية كأي شاب رياضي محترف، ويتمتع بسلوكيات تتسم بالقيادة والخبث والمكر والدهاء والذكاء الشيطاني، صفات ومميزات تتناسب تماماً مع أية مهام شريرة على المستوى المدني والعسكري والاستخباري، وهو من أشد المعجبين بالديانة المسيحية والمسيحيين، وأنظمة

t.me/yasmeenbook

الحياة في الدول الاشتراكية، وليس هناك ما يمنع أن تأمر جنابكم بوضعه تحت المراقبة والمتابعة الصارمة إذا وافقتم على تعيينه خادماً في القصر».

كان الصبي منشار حينذاك في السابعة عشرة من العمر، عندما قرر شيخ العشيرة إلحاقه بأشبال القصر، ليتعلم شيئاً من الفنون العسكرية، وحماية شخصيات العشيرة، ويتزوَّد بأصول ومراسيم المقابلات، ومرافقة الشخصيات الهامة، ويتعلم شيئاً من مفاهيم ومبادئ السياسة واقتصادات البلد، وما يدور في العشيرة سلباً وإيجاباً، ولا مانع من السماح له بالمشاركة في طابور الصباح في باحة القصر لتحية شيخ العشيرة ومن معه من الشيوخ والوجهاء والأعيان، وتحية علم العشيرة وعلم الدولة، والمشاركة في النشيد الوطني كالذي يردده طلاب المدارس كل صباح.

هذه التغيرات السريعة في حياة منشار الأشول، ومسيرة علمه الجديد، جعلته في حالة من الفرح الشديد، والبهجة وعدم التوازن وانفلات اللسان، بل وعدم إمكانية استيعاب ما يدور حوله من تطورات بهذه السرعة الهائلة، التي لا يعرف مصادرها، ومن يدفع بها لتسهيل أموره الحياتية والعملية بتطوراتها الهائلة.

لكن الأمر لم يبق طي الكتمان طويلاً، فقد علم منشار من بعض مصادره أن والدته مسحة صديقة القصر العشائري، وأن

شيخ العشيرة سوران المقدام يكن لها كل تقدير واحترام، وأنه ما أن عرف بأن منشار هو ابن مسحة، حتى انفتحت أمام الصبي المتشرد راعي الماشية والأغنام جميع الأبواب الموصدة بالحديد والنار، وأصبح بين يوم وضحاها أحد المقربين اللصقاء بشيخ العشيرة وزعماء القوم.

وبمرور الوقت، وفي ظل الانفتاح، والتعامل مع كبار القوم، بدأ منشار الأشول يتقمص دور شيخ العشيرة في ضمير اللاشعور، كنوع من التدريب على التعامل مع الآخرين ممن هم أقل مستوى منه اجتماعياً ومكانه في المجتمع، وأخذ يخطط عملياً لمرحلة قادمة لمجريات العمل الذي أنيط به، والمسؤوليات التي يشرف عليها، وكانت أولى الخطوات التي قرر اتخاذها بعد أن تمكن من مفاصل قصر العشيرة، هو أنه أنهى كل علاقة وسيرة تربطه بوالده الراحل بتار الأشول، بداعي أن وضعه الاجتماعي المتدني في العشيرة لا يساعد على القوة والاعتماد عليه أو الافتخار به، إن لم يكن هذا الوضع والاسم يشكلان عنصر إعاقة وسبباً من الأسباب الرئيسة بيد الخصوم للنيل منه، وإبعاده عن قصر العشيرة، هكذا تكون دائماً تربية المواشي والأغنام والكلاب الضالة، التي تزرع في أعماق الإنسان عنصر الانتقام ولو من أقرب المقربين إليه، لشعوره بأن والده أتى به إلى الحياة دون غطاء إنساني قوي يفتخر به.

t.me/yasmeenbook

كانت نزعة عدم وفاء، ونكران جميل، وعقوق ببر والده، فعلى الرغم من إدراكه لأبعاد هذه الصفات الدنيئة، فإنه وجد نفسه مجبراً على اتباعها وتنفيذها من أجل الوصول إلى تحقيق هدف كبير بدأ يتخمر في فكره، هدف يتلخص في أن عدداً من أبناء العشيرة يتبوؤون مراكز عسكرية عالية ومتقدمة في الجيش، ويحملون مختلف الرتب، وأنه بات من المناسب التقرب من هؤلاء القوم، والقيام بخدمتهم وخدمة أسرهم، لعل ذلك يعينه على الوصول إلى وظيفة عسكرية ينطلق منها إلى عالم أرحب، لكن عليه قبل ذلك أن يتخلص من هذه العقبة الكأداء الكبرى المتمثلة بوالده وسمعته الاجتماعية المتدنية في العشيرة.

وتحقيقاً لهذا الهدف الاستراتيجي، بدأ منشار يفرض نفسه – بشكل أو آخر – على أسر الضباط من أبناء العشيرة، وخاصة أصحاب الرتب العسكرية العالية، وذلك من خلال الخدمات المجانية التي يقدمها لهم، حتى بات اسم منشار الأشول اسم علم دارجاً ومتداولاً يومياً بين أفراد هذه الأسر، مما جعله صاحب حظوة ومكانة ومنزلة عند هؤلاء الضباط وأسرهم، خاصة عندما باشر في إعطاء الدروس الخصوصية لأبنائهم الصغار ممن هم في المرحلة الابتدائية مجاناً.

لم تمضِ فترة طويلة حتى وجد منشار نفسه بين أوساط الضباط

أستاذاً أو معلماً لتدريس الصغار من الأبناء، وكانت هذه الخطوة بالنسبة له بمثابة فرصة ذهبية لمعرفة توجهات هؤلاء الضباط من نظام الحكم القائم وما يدور في المجتمع، ليس كجاسوس أجير للسلطة أو للدوائر الرسمية أو لشيخ العشيرة، وإنما من أجل خطوة إلى الأمام، ووسيلة تمكنه وتعينه وتساعده على الالتحاق بتنظيم معارض يسعى إلى تغيير نظام الحكم في البلاد.

هدف استراتيجي كيف توصل إليه هذا الإنسان البسيط، إنها علامة استفهام كبيرة كانت تثير الكثير من الشكوك من المقربين منه، وخاصة والدته مسحة التي كانت تراقبه عن كثب، وتلاحقه كل يوم وساعة ولحظة، لعلها تقف على ما يدور برأسه، وماذا يريد أن يقدم عليه، قد يكون خيراً أو شراً، فكلاهما مجازفة غير محسوبة لشاب شريد لا يملك من حطام الدنيا شيئاً؟ ورغم حبها الشديد للمغامرات، وممارسة الأعمال التي تتسم بالعنف والقسوة، إلا أنها كانت شديدة الخوف والحذر على ابنها الوحيد أن ينكشف أمره، وتُلصق به تهمة خيانة الوطن، فيُشنق في إحدى ساحات العاصمة أمام جمع غفير من المواطنين، ليكون عبرة لغيره مهما علا شأنه ومقامه، أو كان في عداد المعدمين والمهمشين كحال ابنها الطموح الكتوم.

كان منشار يلح دائماً على أسياده الضباط الكبار حاملي الرتب

t.me/yasmeenbook

العالية ممن يقوم بخدمة أسرهم، بأنه على استعداد للقيام بأية مهمة يطلبونها منه، وأنه سيقوم بإنجازها على الوجه المطلوب، والدليل والبرهان على ذلك التجربة ثم التجربة، فهو خير دليل وامتحان وبرهان، وأنه على أتم الاستعداد لها متى ما أرادوا، فهو ابنهم وتلميذهم وخادمهم المطيع، والفدائي وقت الشدة والضرورة وأثناء القيام بالمهام الصعبة.

وبعد إلحاح طويل ومتكرر شبه يومي، اقترح أحد الضباط على زملائه تكليفه بمهمة ليست بذات قيمة، وذلك على سبيل التجربة لربما ينجزها بشكل طبيعي، لأنه بعيد عن الشكوك والشبهات كونه شاباً نكرة، مجرد راعي أغنام وماشية، حتى ينكشف أمره أمام المجموعة كعميل لجهة حكومية أو قبلية أو عشائرية، فينال عقاباً ما بعده عقاب، ألا وهو التصفية الجسدية، استحسنت المجموعة الفكرة التي ستضع الصبي راعي الأغنام على المحك، لعله يكون صادقاً فيستفاد منه على المدى البعيد، في بعض المهمات البسيطة وكخادم في منازل هؤلاء الضباط، مما يجعله بعيداً عن الشكوك إذا ما قام بنقل رسالة من ضابط إلى آخر.

وانطلاقاً من ذلك، تم تكليف منشار الأشول بأول مهمة في إطار المجموعة التي ستقوم بأول انقلاب عسكري لها على نظام الحكم في البلاد، مهمة انحصرت برسالة شفوية وقصاصات

أوراق تحمل تعليمات وأوامر ليست ذات قيمة أمنية، ولا تدخل باب السرية، مع تحذيره بأخذ الحيطة والكتمان، فإذا نجح فإنه سيعين بوظيفة مراسل بدلاً من راعي أغنام وماشية.

كانت المجموعة حذرة وخائفة في الوقت نفسه، من أن يفشي هذا الشاب الشاوي راعي الأغنام الجاهل المتحذلق بالمعرفة أسرار نشاطهم السري، بداعي التظاهر والتفاخر أمام الأصدقاء والمعارف من أجل التقرب من السلطة للحصول على وظيفة حكومية، لكن منشار خيَّب ظنهم وتوقعاتهم، ووصلت الرسائل بكل أمانة وسرية إلى أصحابها، الأمر الذي جعله محط أنظار المجموعة، والتفكير في إمكانية استغلاله كلما دعت الحاجة إليه، مع وضعه تحت ملاحظة دائمة، ورقابة صارمة.

وعلى أثر هذه التجربة، وما اختمر في أذهان بعض أفراد المجموعة، تم تعيين منشار الأشول مراسلاً، مع التهديد والتنبيه باستمرار بأنه إذا فشل أو أفشى شيئاً عن أسرار عمله وما يقوم به، فإن نهايته ستكون مأساوية عندما يلقى في بئر لا قعر لها سوى مياه المجاري الآسنة كالسكاكين التي تمحق جسده وتجعله أشلاء وأوصالاً، ليصبح وجبة شهية للفئران والثعابين والحشرات الجائعة.

تمكن منشار، في وقت قصير، من إثبات وجوده في سلك

t.me/yasmeenbook

المراسلين الذين كان عددهم حوالي خمسة، حيث لمع بينهم كناصح أمين وجريء ومنجز للمهام الصعبة التي توكل إليه، لذلك سرعان ما نقل كمراسل للعمل في التنظيم السري الذي يضم عدداً من كبار الضباط في القوات المسلحة، الساعين للقيام بانقلاب عسكري، سوف يغير وجه الدولة والمجتمع، بالقضاء على نظام حكم عاشوا في كنفه عقوداً من الزمن كالعبيد والأجراء.

هذه النقلة الوظيفية الخطيرة التي توج بها راعي الماشية والأغنام، تعتبر مغامرة غير محسوبة العواقب، سواء بالبقاء في دائرة الشهرة والمجد، أو الانحدار إلى قنوات النسيان والفناء، نقلة جعلت منشار الأشول سجين الفكر والإرادة طوال الوقت، من أجل تحقيق شيء من النجاح في كل خطوة يخطوها لكسب رضا المجموعة، وأصبح كل همه واهتمامه منذ مطلع الصباح حتى المساء، هو التفكير في وسائل تساعد المجموعة على أداء مهامها السرية على الوجه المطلوب، وتُنجز على الوجه السليم بكل حرفيَّة وسرية.

بعد عناء وسهر ليالٍ تمكن منشار من التوصل إلى جملة من الأفكار والمقترحات، رغم بساطة تفكيره وحجم الجهد الذي بذله، وكم كان سعيداً وهو يقدمها للمسؤول عنه في الحركة، مقترح يطالب المجموعة بالسماح له بالعودة إلى رعي الماشية والأغنام،

حيث يستطيع إنجاز الكثير من المهام الصعبة دون أن يشد انتباه أي مخلوق لما يقوم به، مع الظهور دائماً أمام الجميع كراعي أغنام في مجتمع العشيرة، وكإنسان جاهل لا مستقبل له كأبيه، وأن ما يقوم به من مبالغات في الترحيب والمديح والثناء عندما يقدم على تقديم خدمة للآخرين، هي تصرفات عبثية يريد أن يرضي صاحب الحاجة، من أجل الحصول على مكافأة أو أجر مجزٍ، إضافة على ما اتفق عليه من مال، وهو أسلوب نفعي يلجأ إليه كل صناعي أو من يقومون بتقديم الخدمات للغير، وعلى صاحب الحاجة أن يلبي الطلب وإلا فإنه لن يحصل على الخدمة بالصورة المطلوبة.

هكذا أصبح النجاح حليف منشار الأشول في جميع المهام الصعبة التي كُلف بها من قِبل المجموعة، وقام بإنجازها بالصورة المطلوبة وبسرية تامة وأمانة مطلقة، حتى أطلقت عليه المجموعة نظير عمله وجهده المخلص (الشاوي الأمين) كاسم حركي.

قررت المجموعة العسكرية الثورية عودة منشار الأشول إلى مهنته السابقة، فهي خير ستار وغطاء لبعض النشاطات والعمليات الدقيقة الخطرة، فقاموا بتجميع قطيع من الماشية والأغنام، مع فتح الباب لكل راغب من مواطني العشيرة الاشتراك برعي أغنامه نظير أجر شهري زهيد، هذه العودة جعلت صبية وأولاد العشيرة يسخرون ويتهكمون بمنشار لفشله في العمل خادماً في القصور والبيوت.

t.me/yasmeenbook

عاد منشار الأشول من جديد راعي ماشية وأغنام، وأصبحت معظم ماشيته وأغنامه تعود ملكيتها لشيخ العشيرة، وكان منشار مسروراً وفرحاً بذلك لكونه حصل على تغطية كبيرة ومهمة لم تكن في الحسبان، كما كان شيخ العشيرة بدوره مسروراً لعودة منشار إلى مهنته الأصلية راعياً وشاوياً، فهو خير من يؤتمن عليه في المحافظة على الحلال.

ظل منشار يقوم بالمهمات الصعبة والخطيرة التي يكلف بها من قبل المسؤول عنه في المجموعة الثورية بنجاح وبسرعة قياسية، تحت ستار رعي الأغنام والماشية، وكانت معظم لقاءاته تتم في البراري وأماكن الرعي، مما جعله أحد الأفراد المهمين في المجموعة، رغم صغر سنه ومحدودية فكره وتجاربه في هذه الأمور وفي الحياة عامة، وهذا ما جعل والدته تشعر بالخوف والقلق تجاهه من المجموعة أكثر من خوفها من الجهات الأمنية في الدولة، والسبب أن منشار صبي لا يزال عوده أخضر، مغموراً وغير معروف، لكنه بسرعة البرق أصبح شخصاً مهماً وخطيراً، يملك مخزوناً من المعلومات الأمنية التي تمس أمن البلاد والعباد، والخوف كل الخوف هو قدوم المجموعة على تصفيته، وإنهاء حياته لتموت الأسرار مع موته، وتدفن معه في قبر واحد، في الوقت الذي لا تستطيع أن تبوح له بما تعانيه، خوفاً من أن

t.me/yasmeenbook

يسألها، كيف توصلتِ إلى هذه الأسرار، وأنها لا بد من أن تكون شريكة في المجموعة الثورية!! لذلك تركته لقدره ومصيره.

تم تحديد ساعة الصفر من قبل قيادة المجموعة الثورية، وحدد دور وموقع كل فرد مهما كان نشاطه كبيراً أو بسيطاً، وأهمية موقعه ودوره في المجموعة، وكان منشار الأشول بطبيعة الحال بين هؤلاء الأفراد، وإن كان دوره في تلك اللحظة دوراً ثانوياً، لكنه كان دوراً مهماً أيضاً، فمنشار منذ أن تلقى التعليمات من الضابط المسؤول عنه في المجموعة، وبحكم المهنة والفطرة الريفية البدوية، كان شديد الحساسية تجاه الأمور التي تمس أمن الوطن، خوفاً من عقوبة الإعدام والسحل الذي ينتظره مرتكبوه في جميع الأحوال، لذلك كان يضع على الدوام إحدى قدميه بين أقدام المجموعة الثورية، والقدم الأخرى يوجهها تجاه الحدود الشرقية الفاصلة بين الوطن وبلاد الشام.

فشل الانقلاب لأسباب عدة، قد تعود إلى ضعف التنظيم وخطوط وقنوات الاتصال بين الوحدات المشاركة، أو وجود عناصر جبانة أو خائنة لم يشعر بهم أحد من المجموعة، على الرغم من أن القيادة كان يتولاها ضباط كبار في الجيش، لهم تاريخ وطني وعسكري مشهود، كما كان لهم دائماً الكلمة العليا المسموعة، لكن مهما كانت المبررات والأسباب فالفشل وقع،

t.me/yasmeenbook

واعتقل جميع أفراد المجموعة، وحوكموا أمام محكمة عسكرية سريعة، وأعدموا بإطلاق النار عليهم في الحال، عدا منشار الأشول الذي تمكن من الهرب كهروب لص محترف في ليلة ظلماء ماطرة مشحونة بالبرق والرعد والرياح العاصفة.

اختفى منشار بلمح البصر، لم يعرف أحد أرضه من سمائه، حتى أقرب المقربين له في المجموعة أو في العشيرة، بمن فيهم والدته مسحة التي امتطت فرساً وأخذت تجوب البراري والوديان والمراعي والقبائل والعشائر أياماً، ثم عادت بخفى حنين دون أن تعثر له على موقع قدم أو أثر على الأرض، رغم استعانتها بأكثر من مقتفي أثر لكن دون جدوى.

فعلى أثر فشل الحركة الانقلابية، سارع منشار الأشول إلى الاختباء في عدد من المغارات والكهوف في التلال الشرقية المتاخمة لحدود بلاد الشام، والتي وصلها بعد ثلاثة أيام من المشي على الأقدام ليل نهار، وكان أشبه بالزواحف والسحالي وهو ينتقل من مغارة إلى أخرى، ومن كهف إلى كهف، ومن كهوف إلى حفرة أو دحل ثعبان أو حيوان زاحف، والدحل عبارة عن حفرة في الأرض، ضيقة من أعلى عند المدخل، وواسعة في الأسفل، ليس من صنع البشر وإنما من عمل الحيوانات الخطرة.

بهذه المخابئ المخيفة المرعبة التي لا يسكنها سوى

الحيوانات والزواحف، تمكن منشار الأشول من اجتياز الحدود بين البلدين، وأصبح في أراضي بلاد الشام، بعد أكثر من ثماني وأربعين ساعة، ماشياً وزاحفاً على البطن أو الركبتين واليدين، وبدخول أراضي دولة الجوار تنفس منشار الأشول الصعداء، وضمن الأمن والأمان.

t.me/yasmeenbook

2

من البراري والمواشي إلى اللجوء السياسي

لم يكن الطريق أمام منشار بن بتار الأشول سهلاً ممهداً للوصول إلى دولة برنس التي اتخذها نهاية الطريق ومشوار العذاب الذي سيسير فيه من أجل الحصول على حق اللجوء السياسي، وبدأ حياة جديدة في دولة اللجوء يعيد فيها حساباته لجولة أخرى من المشاركة في تنظيم انقلابي آخر ربما يُكتب له النجاح، مع السعي في الوقت الراهن لاستكمال ما تبقى من دراسته العامة والالتحاق بالجامعة إذا مكنته الظروف وساعدته إلى حين يأتي الفرج، ويعود ثانية إلى أرض الوطن لمواصلة المشاركة في نضال انقلابي، يكون أكثر تنظيماً وأرفع دقة وخبرة، مع قادة جسورين في السلك العسكري يتولون قيادة التنظيم، عندئذ يكون المرء يملك شيئاً من الأمل لعل النجاح يكون حليف التنظيم هذه المرة.

كانت مجرد أحلام وآمال تراود فكر منشار عندما ينحشر في المساء في حفرة، أو يختبئ في كهف أو مغارة لقضاء جزء من

ليلة هادئة، ثم يواصل السير في اليوم التالي عبر التلال والوديان، ويواصل الليل بالنهار حتى أشرف على الحدود الدولية الشرقية الفاصلة بين بلده أم الطبول وبلاد الشام، وهو في حالة إعياء تام، يتمنى فيه الموت على الحياة، وبسبب ما أصاب جسده من أمراض جلدية، وبعد أن كسا الشعر الأسود القاتم الكثيف وجهه وغطى رأسه حتى كتفيه، وأصبح شبيهاً بالإنسان القديم البدائي، يهابه من يراه خوفاً من العدوى أو الهجوم أو الاعتداء كأي وحش مفترس يكاد الجوع يقتله.

اقترب منشار الأشول من مركز الحدود، خطوة خطوة، وهو في حالة يرثى لها من العدو قبل الصديق، إضافة إلى الشعور بالخوف والذعر الذي سيطر على فكره وكيانه، لكونه بتلك الحالة الرثة والمرعبة، ولا يحمل أية وثيقة تسمح له بعبور الحدود الدولية بين البلدين، وهذا ما جعل حالة استنفار تعم المركز الحدودي بين الجنود الحراس والمدنيين الإداريين لمواجهة الوحش القادم من الصحراء، لكن بعض العاملين في المركز شعروا بأنه شخص تائه ولا بد من مساعدته، فدعوا زملاءهم والعسكر بأن يتعاطفوا معه عندما علموا أنه واحد من المجموعة الانقلابية الفاشلة في أم الطبول، ولكون العلاقة بين البلدين حينذاك كانت متردية ومتوترة وعلى شفا حرب، فقد طلبوا منه فقط ضمانة شخصية من قبل

t.me/yasmeenbook

مواطن شامي معروف يعرفه ويضمنه، ويتحمَّل مسؤوليته إلى حين عبوره إلى دولة برنس، فقدم عدد من أسماء الشخصيات الشامية المعروفة العاملة في المؤسسات الحكومية والمدنيَّة، وبالاتصال بأحدهم تم التأكيد بأنه معروف لديه، ويعتبر أحد الأصدقاء المقربين، ووعد رجال الحدود بأنه ومعه آخرون من الأصدقاء قادمون لتسلمه بضمان كتابي من إحدى المؤسسات المدنية الكبيرة المشهورة، وأن المسألة لا تعدو سوى مسافة الطريق.

وبعد انتظار دام حوالي ثلاث ساعات، وصل ثلاثة من الشبان يحملون رسالة ضمان معتمدة ومختومة من الجهات الرسمية بتسلم الضيف تحت مسؤولية المؤسسة المدنيَّة الضامنة إلى حين مغادرته البلاد إلى الجهة التي يقصدها، وكانت المفاجأة أن أحد هؤلاء الشباب كان يقوم بدور ضابط الاتصال والوسيط بين المجموعة الانقلابية والجهات الداعمة والمؤيدة للانقلاب في بلاد الشام، الأمر الذي شعر معه منشار بالانشراح وحالة من الانفراج وراحة البال.

كانت فترة الضيافة فترة رائعة وجميلة في جميع مفردات الحياة التي عاشها منشار الأشول في بلاد الشام، والتي استغرقت زهاء شهر، رتب خلالها كل ما يتعلق برحلته إلى دولة برنس، كما تمكن من خلال إحدى المؤسسات المدنيَّة التي كانت

داعمة للانقلاب في بلاده بالحصول على شهادة الثانوية العامة، وتصريح مرور يؤهله للدخول إلى دولة برنس، دون أية عقبات أو إجراءات استثنائية، وكذلك الاتصال ببعض أبناء بلده من اللاجئين السياسيين الذين يقيمون في ضيافة دولة برنس لتسلمه بتاريخ محدد في أحد الموانئ البحرية سوف يخطرون بها لاحقاً.

جاء التاريخ المقرر للسفر وإذا بمجموعة من مسؤولي المؤسسة الضامنة لإقامته في البلاد ترافقه إلى الميناء الذي ستغادر منه الباخرة إلى دولة برنس، كانت لحظة وداع جميلة، تخللتها كلمات وعبارات عطرة متبادلة، تدعو للضيف برحلة موفقة، ونجاح في المحاولة القادمة لتغيير النظام السياسي في بلاده، كانت لحظة فراق وكلمات أخوية رقيقة شعر معها منشار الأشول بالعزة والكرامة وحسن الضيافة، شعور لم يشعر به يوماً في بلده.

قبل أن يصعد منشار سلم الباخرة، قدم له رئيس المؤسسة المضيفة شنطة تحتوي على ملابس متنوعة الأغراض، وبعض الحاجات الضرورية للاستعمال الشخصي، مع مبلغ من المال عملة دولة برنس، قد يحتاج إليها في الأيام الأولى من وصوله، كان وداعاً استثنائياً لم يتوقعه منشار الأشول من رفاق نضال في بلاد الشام يراهم لأول مرة في حياته وكأنه واحد منهم ويحيا حياتهم، وداعاً جعله ينسى عناء الطريق الذي سلكه وقطعه بمصائبه حتى

t.me/yasmeenbook

لحظة وصوله إلى حدود الشام، وشعوره بصورة لا إرادية بشيء من الأمن والأمان، رغم الخوف والرعب اللذين أخذاه لحظتئذ مأخذاً ملؤه القلق والاضطراب، عندما لاحت له من بعيد مباني مركز الحدود الدولية الفاصلة بين بلاده وبلاد الشام.

هذا الشعور ظل يسكن منشار الأشول حتى اللحظة التي كان يودع الرفاق، ويعدهم بأنه سيعود إليهم يوماً وهو يحمل راية النصر، أو ربما يراهم في لحظة غير متوقعة في إحدى الساحات في بلده وهم يشاركون في النصر المبين.

استغرقت الرحلة بين بلاد الشام ودولة برنس ساعات، لكنها كانت بمثابة دقائق غير مملة، فمجالات الترفيه والنشاطات على ظهر الباخرة كانت واسعة ومتعددة ومتنوعة الهوايات والطلبات والخيارات، كان معظمها بالمجان، وأخرى بأسعار رمزية، والأهم من ذلك كله أن الرفقة مع المسافرين على ظهر الباخرة أعطت منشار شعوراً وكأنه يعرف هؤلاء القوم منذ زمن بعيد، لذلك لم يشعر بالساعات الطويلة التي قطعتها الباخرة بين بلاد الشام ودولة برنس، إلا حين لاحت له من بعيد عروسة البحر، المدينة التي هتفت يوماً باسم ذي القرنين، أشهر الفاتحين عبر التاريخ، لحظتئذ سأل منشار جاره، كم من الوقت استغرقت رحلتنا، فكان جوابه لا أعلم على وجه التحديد، ولكنني أستطيع أن أقول، ما هي إلا

ساعة زمان وتكون الباخرة راسية في الميناء الكبير، وقتئذ سيطلب القبطان من الركاب النزول بهدوء وحذر، والتوجه إلى صالات الهجرة والجمارك.

كان في استقبال منشار الأشول عدد من أبناء الوطن، قدموا من العاصمة إلى عروسة البحر، المدينة الساحلية المقدونية للترحيب بضيف قادم من الوطن، تمكن من الإفلات من الإعدام قبل أيام.

في هذه الزحمة البشرية استطاع منشار من التعرف إلى أحدهم من خلال اسمه وانتمائه لأسرة كبيرة معروفة بنضالها الوطني، وكان يدعى عبود بن حسون المطيع، الذي أخذه جانباً حال نزوله من الباخرة، ليبلغه بأنه سيكون في ضيافته، وسيقيم معه في شقته القريبة من الجامعة، وهي شقة تعتبر مكاناً وملتقى المناضلين من أبناء البلد المقيمين في دولة برنس، كما أبلغه بأنه سيكون بمعيته وهو يتابع إجراءات منحه حق اللجوء السياسي، وكذلك عند تسجيله في كلية الحقوق، وأنه على يقين بأنه سيكون سعيداً بين أصدقائه الجدد في دولة اللجوء، دولة برنس بحق وحقيقة.

فرح منشار كثيراً لهذه الرفقة، وخاصة عندما علم بأن عدداً كبيراً من أبناء الوطن يترددون إلى الشقة، وسيكونون حوله معظم الأوقات، وهو في حاجة ماسة لهم في هذه المرحلة من حياته

t.me/yasmeenbook

في بلد الضيافة، لكن سعادته الحقيقية تكمن في العودة في أسرع وقت ممكن إلى أرض الوطن، والمشاركة في الشروع في محاولة جديدة من النضال الوطني لخلاص الوطن والشعب من براثن أعداء الشعب.

كانت الساعة تقترب من الواحدة بعد منتصف النهار عندما صعد عبود بن حسون المطيع وضيفه منشار بن بتار الأشول القطار المتوجه إلى العاصمة التي وصلاها بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة، ومن المحطة إلى سكن الضيافة، حيث كان في استقبالهما جمع من الشباب من أبناء الوطن، وبعض الطلاب العرب الذين يتلقون العلم في جامعات دولة برنس، الأمر الذي جعل منشار في أجواء طبيعية وكأنه لم يفارق الوطن، فاللهجات واحدة، والعادات والتقاليد لم يتغير فيها شيء، حتى وجبات الطعام المقدمة كانت فيها رائحة الوطن، والقهوة والشاي الثقيل كما هو الحال في الأمسيات التي كان يحضرها في مضارب العشيرة.

كان هذا الشعور رغم جماله يمثل حالة من اللاواقع بالنسبة له، لكونها حالة لا تتصف بالديمومة، وأنها قابلة للتغير في أية لحظة، بحكم العلاقات السياسية المتجاذبة المتغيرة دائماً، والتي تحكم العالم بمجمل تناقضاته، لكن منشار كان يحاول باستمرار أن يقنع نفسه برؤى مخالفة لهذه الرؤية المستقبلية!!

t.me/yasmeenbook

هذا السلوك والشعور الغريب ظل يلازم منشار بضعة أشهر، مما جعله في دوامة من الارتباك الذهني والفكري، ورغم ذلك تمكن خلالها من ترتيب أوضاع إقامته بحصوله على حق اللجوء السياسي، وإعانة مالية من حكومة دولة برنس، يكفيه العيش في مستوى أفضل مما كان عليه في الوطن الأم، كما تمكن خلال هذه الفترة المشحونة من ترتيب أوضاع الإقامة، والالتحاق بكلية الحقوق، والتسجيل بقسم المرافعات والقضايا (القسم المدني)، ومن حسن الصدف أن الشقة التي يقيم فيها لم تكن تبعد كثيراً عن الجامعة مشياً على الأقدام كما أخبره الزميل عبود المطيع.

تأقلم منشار الأشول سريعاً مع الأجواء المحيطة به بعد ترتيب أوضاعه المعيشية والدراسية بشكل جيد، وبدأ يشارك في الفعاليات المختلفة التي تنظمها الاتحادات الطلابية العربية، لكن قدراته وإمكانياته الجسدية والذهنية كانت تطالبه بالمزيد من المشاركات في مثل هذه النشاطات وغيرها من الفعاليات الجماعية، وهذا ما دفع فكره وعقله أن يجد ضالته في المقاهي الشعبية المنتشرة في المنطقة المجاورة لسكنه، والتي تمتلئ بروادها من العمال عند الساعات الأولى من المساء، وتستمر حتى وقت متأخر من الليل، وخاصة خلال أيام العطل الأسبوعية والمناسبات الرسمية الوطنية والدينية، وذلك للترفيه عن النفس، وتبادل الأخبار والرسائل

t.me/yasmeenbook

التي تصل من الأهل والأقارب والأصدقاء في الأرياف والقرى والبلدات، موطن ومحل إقامتهم التي تركوها من أجل البحث عن لقمة العيش، وتحقيق حياة أفضل لأسرهم وأبنائهم.

لم يكن قد مضى على لجوء منشار الأشول إلى دولة برنس سوى ستة أشهر، عندما بدأ يتردد إلى مقهى شعبي في حي تجاري حيوي، كان في السابق قرية وريفاً من الأرياف، وأخذ يتعرف على مجاميع من رواد المقهى من العمال والفلاحين رويداً رويداً، وكانت حواراته معهم في تلك الجلسات العفوية لا تتعدى شؤون الحياة الصعبة، ومعاناة الغربة عن الأهل والأصدقاء، وما إن كبرت واتسعت دائرة معارفه حتى بدأ يستبدل مفردات تلك الحوارات، وينتقل من موضوعات اعتيادية عامة تتناول صعوبة الحياة ومشاكلها الجمة في أي مكان وأي زمان إلى موضوعات تحمل جرعات دسمة من مفردات ثورية وقضايا سياسية ساخنة.

بدأ العمال والفلاحون يستمعون إلى منشار بإصغاء وشوق وشغف لم يكن في الحسبان، وأخذوا يشاركونه بحماسة شديدة لافتة للنظر في الحوارات التي كانت تدور حول تلك الموضوعات والقضايا المجتمعية والسياسية، وكأنهم يعيشون حالة من الكبت والكتمان والحرمان من الخوض بمثل هذه الأحاديث والموضوعات والقضايا الخطرة والمحرمة في قاموس السلطة

الحاكمة، والتي تمس في الوقت نفسه صميم وجودهم ومسيرة حياتهم ومستقبل أبنائهم وأحفادهم.

فمن ضمن الموضوعات والقضايا الحساسة والهامة والموجعة سياسياً وشعبياً التي كان يركز عليها منشار في أحاديثه أمام جمع من العمال والفلاحين البسطاء القادمين من بلدات وأريـاف وقرى لا يعرفون سوى الترعة والخضرة والنعجة والجاموسة والعمدة وشيخ الغفر الذي يصيح بأعلى صوته دائماً (حاضر يا جناب العمدة).

كان هؤلاء هم جمهور المستمعين الذين يستمعون كل مساء إلى أحاديث شاب عربي قادم من دولة أم الطبول يدعى منشار ابن بتار الأشول، وهو ليس من بني جلدتهم، لكن حديثه حلو ومشوّق مهما طال معه الوقت، ومهما كانت مفردات حديثه أحياناً غريبة وغير مفهومة، فضلاً عن لهجته ونغمات كلماته التي كانوا يطربون لها، وكأنهم أمام مطرب سبق أن استمعوا إليه ويدعى كاظم الساهر.

اعتاد منشار أن يحدثهم بعبارات رقيقة وأخوية كمرشد وشيخ دين على منبر أحد المساجد، وهو يقول لهم: «إن الذين قاموا بالانقلاب في بلدكم في مطلع الخمسينيات خدعوكم عندما قالوا لكم إن الثورة قامت من أجل سعادتكم ورفاهية أبنائكم

t.me/yasmeenbook

وأحفادكم في المستقبل، فصدقتم وخرجتم جميعاً، رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، وأنتم تهتفون بحياة من قاموا بالانقلاب، وتطلبون من الباري عز وجل أن يطيل أعمارهم، ويسدد على طريق الصلاح والإصلاح خطاهم.

لم يقف منشار الأشول عند هذه الحدود في أحاديثه مع العمال والفلاحين، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، حين أشار قائلاً في أحد لقاءاته: «تبين بمرور الوقت أن الانقلابيين وهم طبقة ضباط يعملون لمصلحة رفاقهم، وسعادة أسرهم وأبنائهم، والدليل أنتم أيها البسطاء، وجميع من في هذا المقهى والمقاهي الأخرى المشابهة، لم ينلكم شيء من خيرات الانقلاب والانقلابيين، وبقيتم كما كنتم إن لم تكن أوضاعكم أصبحت أسوأ من ذي قبل!! بينما طبقات الضباط والعسكر المرفهين أصلاً، أصبح حالهم حال الملوك والأمراء، وهم اليوم يعيشون أحسن عيشة، ويسكنون أفضل وأفخم البيوت والمساكن، بينما أنتم وأسركم لا تزالون في الزرائب تعيشون عيشة البهائم فهل هذا يجوز في دولة تدعي الاشتراكية والمساواة؟ وهل رب العالمين يقبل هذه الخديعة الكبرى، والافتراء على بسطاء وفقراء المجتمع، وهم الغالبية العظمى من الشعب؟ وهل الثورة المرتدة على هؤلاء الضباط والعسكر حلال أم حرام؟

ثم يجيب نيابة عن المستمعين البسطاء الجهلة قائلاً: «نعم حلال وألف حلال، وإن لم يرد ذكر الانقلابات في كتب العقائد والديانات، لأن الطريق واحد، وهو الطريق نفسه الذي أتوا منه إلى سدة الحكم، ولطالما كان الطريق حلالاً عليهم، فهو ليس حراماً على الآخرين.. الحالتان واحدة وما التوفيق إلا بالله، وعليه يتوكل المؤمنون للحصول على حقوقهم المدنيَّة في الحياة.

لم يكن الحديث بين منشار الأشول والعمال والفلاحين البسطاء حديثاً عابراً، بل كان حديثه دعوة صريحة إلى ثورة وانتفاضة جماهيرية مرتدة، تغير نظام الحكم في الدولة.

دعوة لم تأخذ أياماً وربما ساعات حتى وصل صداها وشرارتها المخيفة المرعبة، وعناوينها الكبيرة المذهلة، ومفرداتها الموجعة إلى مسامع رئيس الدولة، الذي أمر بترحيل المدعو منشار الأشول وإبعاده عن البلاد فوراً، بداعي أنه عميل وأجير لدى دوائر الاستعمار الجديد والمدعو العم سام.

كان قراراً سريعاً وموجعاً لم يحسب له منشار هذا الحساب، ألا وهو الترحيل الفوري، مما يعني عليه البحث عن مكان آخر مناسب يؤويه وهو أمر ليس بهذه السهولة، وليس لمصلحته لعدة اعتبارات، أولها أنه مطرود من دولة برنس، ملتقى العديد من المناضلين من مختلف دول العالم، وثانياً أنه أفضل مكان لترتيب

t.me/yasmeenbook

العودة من جديد إلى الوطن للمشاركة في محاولة انقلابية أخرى قد تنجح هذه المرة، أو يُعدم كغيره ممن لم تحالفهم فرصة النجاح.

وجاء الفرج عندما تطوع طالبان جامعيان من أبناء الخليج أحدهما يدعى فيصل الشجاع، والآخر ناجي الوسيم اللذان سارعا لإنقاذ الصديق منشار الأشول من الترحيل عن دولة برنس، عندما لجأ الاثنان إلى مكتب شؤون الطلبة العرب، وقاما بزيارة سريعة لرئيس المكتب أمين بيبرس، ومناشدته التدخل السريع لإنقاذ صاحبهما منشار بأية ضمانات تريدها الحكومة لعدم تكرار هذه السقطة الغبية مرة ثانية، وأنه بضمان الاثنين، وبجميع الضمانات المطلوبة يقرر الاثنان ويتعهدان بأن منشار الأشول لن يقوم بعد اليوم بزيارة أي مقهى، ولا يوجد في أي تجمع أو محفل شعبي عام، تنظمه المؤسسات الرسمية أو إحدى المؤسسات المدنيَّة، ولا يقترب من وسائل الإعلام بتصريحات وتعليقات مسموعة أو مكتوبة.

وبعد حوار ونقاش طويل، ومناشدة ورجاء، وافق أمين على طلب الوفد الطلابي للقيام بمحاولة في أعلى المستويات لعلها تلاقي شيئاً من النجاح، وقام على الفور بالاتصال بمكتب رئيس الدولة وطلب مقابلة الرئيس لأمر هام، لعله يتوصل معه إلى حل يرضي زائريه، اللذين لجآ إليه بحماسة قومية، ونية صادقة للإبقاء

على زميلهما في البلد المضياف، وعدم ترحيله في هذا الوقت الحرج، إلى حين يأتي الفرج، وتستتب الأمور والأوضاع السياسية في بلده المضطرب على الدوام.

لم تكن مقابلة أمين بيبرس لرئيس الدولة أمراً سهلاً، فقد استشاط الرئيس غضباً بمجرد أن نطق أمين باسم منشار حتى صاح في وجهه.. تقصد الأشول: «هذا الشاب عميل وأجير يعمل لمصلحة المستعمر الجديد المدعو (العم سام)، فكيف تطلب مني أن نسمح له بالبقاء بيننا، لينهش أجسادنا، ونقل تفاصيل ما يجري في بلدنا إلى أسياده في البيت الأسود، ويعمل ليل نهار من أجل تسميم أفكار البسطاء من شعبنا، على الرغم من أننا أكرمناه وحميناه من الملاحقة والنيل منه، فهل هذا جزاء الإحسان وكرم الضيافة؟».

يبدو أن تعقيب أمين بيبرس رئيس مكتب شؤون الطلبة العرب خفف شيئاً من وطأة غضب الرئيس، خاصة عندما أشار في تعقيبه: «إن بلدنا يا سيادة الرئيس ملجأ المناضلين الساعين إلى تحرير شعوبهم من الظلم والطغيان، ومن الأنظمة الديكتاتورية الفاسدة في دولهم، وعدد هؤلاء اللاجئين في بلدنا وضيافتنا بالآلاف من مختلف دول العالم، وأنتم يا سيادة الرئيس تعتبرون أبا المناضلين وراعيهم، فكيف تقدم على طرد شاب مناضل شارك في انقلاب فاشل على نظام ديكتاتوري، وربما يأتي رئيساً في المحاولة الثانية،

t.me/yasmeenbook

وسيادتكم تعرفون هذا البلد بأنه من أقوى وأشرس بؤر الاستعمار الجديد الذي يكن لنا العداء، ويتمنى زوال نظامنا اليوم قبل غد، وهذا الشاب الثوري المندفع مطلوب اليوم من قبل حكومة بلاده، ومصيره سيكون الشنق والسحل إذا تمكنوا منه، ونحن علينا أن نحسن السلوك الثوري لهذا الشاب، ونرشده في اتجاه الطريق الصحيح لإنقاذ وطنه لا طرده، فيكفر بنا وبالدول التي أقامت عهدها الجديد بالثورات والانقلابات».

تفهم الرئيس ما ذهب إليه أمين بيبرس، واستدرك الهدف السياسي الذي يسعى إليه أمين في العرض الذي قدمه في دفاعه عن شاب لاجئ لم يقدر تداعيات ما أقدم عليه، وهو يقوم باستفزاز شرائح من العمال والفلاحين البسطاء، وتقديراً للزمالة والمشاركة في النضال والثورة، ودفاعه المنطقي عن الشاب الذي تجاوز حدود الضيافة نتيجة الحماسة الثورية، قرر الرئيس إعطاء الشاب منشار الأشول فرصة ثانية لعله يتعظ مما سبق، لكن تحت شروط بينها حرمانه من الإعاشة الشهرية التي يحصل عليها من الحكومة، مع وضعه تحت رقابة صارمة، ومنعه من الحضور أو المشاركة في أية تجمعات عمالية أو شعبية أو غيرها.

تنفس رئيس مكتب شؤون الطلبة العرب الصعداء لتمكنه من حماية هذا الشاب الثوري المندفع إلى حين عودته إلى بلاده بشكل

أو آخر، لكن الجهات الأمنية لم تخل سبيل الشاب منشار إلا بعد أن وقع على إقرار وتعهد بأنه لن يكرر مثل هذه الأفعال والوقائع مرة ثانية، وأنه سيلتزم جانب الهدوء والسكينة طوال فترة بقائه في دولة برنس، ويتجنب التدخل في الشأن الداخلي والخارجي للدولة التي تستضيفه وتحميه وتكرمه بكل محبة ورحابة صدر، وأن يكون ابناً باراً يحفظ المعروف، مثلما ستعتز به دولة برنس عندما يعتلي يوماً سدة الحكم في بلده أم الطبول.

بعد هذه الواقعة التي هزت البدن والكيان والضمير، وجعلت الخوف والحذر يعانقان الحناجر، وجعلت منشار الأشول يتعلم الدرس جيداً ويفهم مضامينها ويحفظها عن ظهر قلب، بعد هذه التجربة غير الموفقة قرر منشار التحلي بالصبر والانضباط إلى حين يأتي الفرج ويعود إلى الوطن، خاصة وأن أحد أبناء دولة السلام تكفل بجمع مبلغ من زملائه الطلاب في بعثة بلاده شهرياً وتسليمها له كتبرع أخوي للصرف على أحواله المعيشية واحتياجاته الخاصة، هذه المبادرة التي جاءته من أخوة طلابية من دولة السلام على وجه التحديد، جعلته يقترب من طلبة دول الخليج العربية، وخاصة أبناء دولة السلام أصحاب المبادرة، يشارك في احتفالاتهم ومناسباتهم الطلابية والوطنية.

لا يزال طلبة دولة السلام المعاصرون لذلك التاريخ البعيد أي قبل حوالي سبعة عقود من الزمان يتذكرون وقوف منشار الأشول

t.me/yasmeenbook

وزملائه أبناء أم الطبول بجانبهم لسبب غير واضح ومفهوم عندما أقدموا على احتلال سفارة بلادهم في دولة برنس في مطلع ستينيات القرن الماضي، والاعتصام بداخلها قرابة عشرين يوماً بسبب سماح قيادة بلادهم وحكومتهم لقوات الأمبراطورية العجوز بالنزول في أراضي الوطن بداعي الدفاع عنه ضد الجار العربي الشرس، ووضع حد لأطماعه التوسعية، ومحاولاته المتكررة اجتياز الحدود الدولية بين البلدين، والإعلان في كل مناسبة عربية أو إقليمية أو دولية، بأن أراضي دولة السلام هي جزء تاريخي من أراضي أم الطبول، وهو ادعاء جائر وباطل تؤكدها الوثائق التاريخية للمنطقة، كما يؤكد ذلك شرائح عديدة من أبناء أم الطبول وعلى رأسهم منشار بن بتار الأشول في أكثر من مناسبة بأن دولة السلام دولة مستقلة لم تتبع أية جهة.

كانت حجة أبناء دولة السلام وموقفهم المتشدد من قرار حكومتهم، بأن نزول قوات أجنبية في بلادهم يعني العودة إلى المربع الأول من مسيرة شعب السلام، أي العودة إلى اتفافية الحماية السيئة الذكر، التي صاغها وفرضها الأمبراطور العجوز أبو ناجي حسب رؤاه ومزاجه ومصالحه السياسية، ومنافعه ومكاسبه المالية البترولية، والذي تمكن من خلالها من استنزاف خيرات الإمارة وعائداتها النفطية في ذلك التاريخ المظلم، مطالبين جامعة العرب إرسال قوات عربية إلى بلادهم من أجل أن تحل مكان

t.me/yasmeenbook

القوات الأجنبية، وهذا ما تم فعلاً عندما حلت قوات عربية محل القوات الأجنبية، وخرج الطلاب والطالبات المعتصمون من باب السفارة.

هذه الحادثة قربت وحسنت العلاقة الأخوية بين الطلبة الخليجيين ومجموعة منشار بن بتار الأشول، كانت نتيجة هذا التقارب أن عدداً من هؤلاء الطلبة أصبحوا يتبنون الفكر السياسي والأيديولوجي لمجموعة الأشول، بتشجيع من قيادات الأشول، على أمل تشكيل تنظيم قطري في دولة السلام، ترتبط مستقبلاً بتنظيم قومي موحد على مستوى العالم العربي في القريب العاجل، والتي ستعلن المجموعة قيامه في بلد عربي كدولة مقر مؤقتاً، بناءً على طلب تلك الدولة وترحيبها إلى حين تحرير أم الطبول وخلاصها من يد الظلم والبغي، ومن النظام الديكتاتوري القائم.

ظل منشار الأشول على هذا الحال، يراوح في نشاطه المحدود بين كلية الحقوق الذي عاد عامه الدراسي الأول مرة ثانية لسقوطه في عدد من المواد الدراسية، لانشغاله بالعمل السياسي، وبين سعيه لكسب المزيد من المعارف والمؤيدين لفكره الأيديولوجي والحزبي بين أوساط الطلبة العرب من الجنسين، لعل ذلك يعينه في المستقبل على تشكيل حزب عربي وحدوي اشتراكي واسع

t.me/yasmeenbook

الانتشار على امتداد الوطن العربي، يكون مقره القومي دولة أم الطبول.

تمكن منشار الأشول ومساعدوه الحزبيون خلال فترة وجيزة من بناء قاعدة طلابية من الجنسيات العربية، وحصرها في تنظيم موحد أطلق عليه حزب الانبعاث العربي يحمل شعار (وحدة وحرية واشتراكية)، ولكون مفردات الشعارات تتناغم مع جميع الأوضاع والتوجهات التي يعيشها العالم العربي، وخاصة مع الطبقات الوسطى وذوي الدخول البسيطة والمحدودة، فقد جاء الشعار كالبلسم أنعش نفوس المثقفين الوحدويين والمحرومين على السواء، شعار انسحب على مجمل الأفكار والأطروحات التي كانت المجموعة القيادية، وعلى رأسهم منشار الأشول وعبود بن حسون المطيع يطرحونها في لقاءاتهم وندواتهم لإصلاح الأوضاع المتردية التي يعيشها العالم العربي، نتيجة تداعيات ومخلفات جرائم المستعمرين القدامى، وعلى رأسهم الأمبراطور العجوز أبو ناجي، الذين استعمروا الأوطان العربية سنوات طويلة، كانت نتائجها الفقر والجهل والمرض والتخلف.

فجأة وأثناء مجريات العمل والنشاط الطلابي الساخن من أجل بناء حزب عربي شامل من المحيط إلى الخليج، يقول الراوي، اختفى منشار الأشول من الساحة الطلابية ومن محل

إقامته، حتى صديقه اللصيق ورفيقه عبود المطيع الذي أكرمه واستضافه في سكنه حوالي عامين دون أن يدفع مليماً واحداً، هو الآخر لم يكن يعلم شيئاً عن اختفائه بهذه الصورة الفجائية، مما خلق انطباعاً بين أوساط المجموعة بأنه ربما تم اعتقاله من قبل رجال الأمن بسرية تامة، أو تم اختطافه من قبل تنظيمات سياسية إرهابية، أو عصابات منظمة تعمل لمصلحة حكومة أم الطبول، التي بدأت تسعى بكل قوة إلى خطفه أو تصفيته، بعد الانقلاب الذي تمكن فيه الشيوعيون من تولي السلطة في البلاد بالتعاون مع حركة القوميين العرب.

اختفى منشار الأشول، ولم يعثر عليه في أي مكان في دولة برنس، غياب مريب وغريب، دام أكثر من شهر، وأثار تساؤلات أكثر من ثلاثين سؤالاً، تدور حول اختفائه، الجميع مجمع على إحدى السلطتين ممن قام بعملية الاختطاف، سواء من قبل دولة أم الطبول، أو من قبل دولة برنس، أو تعاونهما معاً في اختطافه وإنهاء سيرته إلى الأبد.

وفجأة تتناقل وكالات الأنباء ووسائل الإعلام الإقليمية والدولية قيام انقلاب عسكري في أم الطبول بقيادة حركة السلام الشيوعية وحركة القوميين العرب، ولكن لم يظهر اسم منشار الأشول بين صفوف الانقلابيين، مما يعني أنه لا علاقة له بما جرى في أم الطبول.

t.me/yasmeenbook

يقول الراوي، ظلت الحركتان المتناقضتان في الأهداف والفكر والعقيدة السياسية والتطلعات المتباعدة، تتقاسمان السلطة في أم الطبول، إلا أن حزب أنصار السلام الشيوعي كان أقوى وأدق تنظيماً على مستوى الحراك الرسمي والشعبي، بسبب الدعم الخارجي الاستثنائي الغزير من الدول والكتل الاشتراكية والأنظمة الشيوعية في العالم، ورغم هذه القوة والتأثير الشعبي، فإن هذه الشراكة لم تستمر طويلاً في إدارة شؤون الحكم في البلاد، بسبب النفور والتباعد في المبادئ والأهداف والمنطلقات، حيث تمكنت حركة القوميين العرب بدعم ومساندة حزب الانبعاث الاشتراكي العربي من إطاحة الشيوعيين، وتولي دفة الحكم في أم الطبول مناصفة.

هنا ظهر منشار الأشول على مسرح الحدث كرجل ثالث في السلطة والرجل الثاني في حزب الانبعاث العربي الاشتراكي، حيث تولى الحزبان حكم البلاد مناصفة لفترة لم تكن قصيرة، لكن بسبب التوجهات السياسية، واختلاف المبادئ أيضاً لم تستمر هذه الشراكة طويلاً، فقد سارع حزب الانبعاث العربي الاشتراكي في إطاحة القوميين العرب، والاستيلاء على السلطة منفرداً.

هنا لمع نجم منشار بن بتار الأشول كرجل ثانٍ قوي مهيب في السلطة الجديدة، وفي إدارة شؤون البلاد بالحديد والنار، بينما ظل

رئيس الدولة بسبب كبر السن، وضعف الشخصية القيادية خارج الأضواء إلى أن أبعد نهائياً عن الحكم، فاستفرد الرفيق منشار الأشول بالسلطة منفرداً.

لسبب أو آخر، يذكرنا الراوي بالشاعر كروان الساري، وهو أحد رموز حركة القوميين العرب، وأحد اللاجئين السياسيين إلى دولة برنس في مطلع ستينيات القرن الماضي أثر مشاركته في انقلاب فاشل، شنق قادته في ميدان أم الطبول الشهير، نظم كروان على أثره قصيدة شعرية يؤبن بها الدولة التي أصبحت لقمة سائغة في فم الأقوياء والعصابات والمغامرين، مهما كان مستواهم الفكري وتجاربهم في الحكم، وإدارة شؤون البلاد، قصيدة يقول في بعض أبياتها:

قل للجلاوزة الطغاة الراجفين من الغد
العاجنين دم الشباب هناك بالطين الردي
أم الطبول غداً تقيم عليك ركن المسجد
باسم السلام أطل فجرك أرعناً لا يهتدي
يا حفنة من رملك المعطور تجمعها يدي
هزي الحصون القائمات على طريق المعبد
وخذي بناصية الطغاة عنيدة.. وتمردي

t.me/yasmeenbook

يقول الـراوي، دعونا من هذه الحالة الاستثنائية للشاعر الثوري القومي العربي، وعلينا متابعة الأحداث مع الفتى راعي الأغنام والماشية، وهو يعتلي سدة الحكم في بلاده، وتصبح المنطقة بأسرها بعد سنوات قليلة أمام مشهد سياسي جديد متوتر دائماً، مشهد ذاق خلالها قادة وشعوب مرارة المرحلة التي قادها الفتى راعي الشاوي منشار بن بتار الأشول على مستوى بلده أم الطبول وعلى مستوى العالم العربي والشرق الأوسط بأكمله، فهل ستكون أم الطبول في عهده أمام مرحلة بناء وإعمار وتنمية ورخاء ورفاهية؟ أم سيجد شعب أرض السواد نفسه في أتون صراعات وحروب وإبـادات جماعية، وانتهاكات لأبسط مبادئ حقوق الإنسان؟ هذا ما سنقف عليه في الجزء القادم من روايتنا.

t.me/yasmeenbook

3

مكافأة مستحقة على جهود استثنائية

لا شك أن الجهود التي بذلها رئيس مكتب الطلبة العرب أمين بيبرس، كانت جهوداً استثنائية يستحق عليها الشكر والتقدير والثناء، ولولاه لما تمكن أحد من الدفاع عن اللاجئ السياسي منشار الأشول أمام رئيس الدولة الذي قرر إبعاده عن البلاد باعتباره عميلاً لمخابرات المستعمر الجديد العم سام، سمح لنفسه وهو ثوري عروبي أن يصبح فريسة لأعداء الأمة العربية والدولة العربية التي استضافته.

نظراً لعدم انكشاف أمر هذا الاتهام الخطير، وعدم الإعلان عنه من قبل أية جهة عربية رسمية، أو تجمعات حزبية أو سياسية، ولم تظهر للعيان بوضوح في أية مناسبة وطنية، أو موقف قومي من خلال ممارساته العلنية والسرية، وأحاديثه ومشاركاته الطلابية، وبالتالي فإن الطالبين من دولة السلام معذوران في مسعاهما بنية

t.me/yasmeenbook

طيبة من أجل حماية منشار الأشول وبقائه في دولة برنس، وعدم طرده بتهمة العمالة للدوائر الاستعمارية الجديدة، اتهام لا يحمل أي دليل مادي في ذلك الوقت.

كان قرار دولة برنس بالطرد قراراً صعباً وخطراً، قرار ربما يقود إلى تسليم اللاجئ منشار بن بتار الأشول إلى حكومة بلاده بدلاً من الطرد، فتكون نهايته التصفية الجسدية والسحل، وجاء في طريقه من ينقذه من الموت أو الطرد في آخر لحظة.

قرر الطالبان من دولة السلام فيصل الشجاع وناجي الوسيم العمل برد المعروف والجميل، وكانا على وشك التخرج في الجامعة، بأن يبذل كل واحد منهما من ناحيته ما يستطيع عند العودة إلى الوطن، للحصول على وظيفة ذات مكانة مادية واجتماعية لرئيس مكتب شؤون الطلبة العرب أمين بيبرس، الذي مد لهما يد المساعدة من أعلى المستويات لإنقاذ زميلهما منشار من دولة أم الطبول من الطرد، مكافأة تؤكد له أنهما لم ينسياه، وأنه سيكون في ضيافتهما بضع سنوات إلى حين العودة ثانية إلى أرض الوطن متى شاء.

تمكن أحد الزميلين من خلال نفوذ بعض المعارف من الحصول على وظيفة مستشار عمالي بوزارة العمل، وكانت تلك الوظيفة شاغرة تناسب أمين بيبرس تماماً، لكونه سبق أن عمل

t.me/yasmeenbook

بهذه الوظيفة سنوات في بلاده وفي منظمات عربية ودولية، وقد سبق أن أستعين به غير مرة في لجان المنظمات الدولية والإقليمية المعنية بشؤون العمل والعمال.

كم كان أمين بيبرس سعيداً بهذا الخبر، وكانت سعادته أعظم عندما علم بأن الوظيفة ستكون مستشاراً عمالياً بوزارة العمل بدولة السلام، لكونه يعرف عنها الشيء الكثير، وخاصة انفتاحها على الحضارات الغربية والشرقية، الرأسمالية منها والاشتراكية على السواء، والتي لم تتردد في تطبيق مبادئ النظامين في سياستها الداخلية المتصلة برفاه شعبها ودعمها غير المحدود في مجالات الحياة المختلفة، وخاصة في مجالات العمل والعمال، وفسح المجال بحرية تامة لقيام المنظمات النقابية العمالية وتنظيمات أصحاب الأعمال، فكسبت بذلك رضى شعبها، وحققت سمعة دولية في زمن قياسي بعد استقلالها وخلاصها من اتفاقية الحماية الاستعمارية المشؤومة، كما حققت مجتمع التكامل والتراحم والرفاه قبل دول الخليج العربية الأخرى بسنوات.

استمر أمين بيبرس مستشاراً عمالياً قرابة ثماني سنوات في دولة السلام، ثماني سنوات كانت كلها عطاء وعملاً مثمراً على المستويين الرسمي والشعبي، حيث تمكن من صوغ قانون عمل جديد متطور مبني على قاعدة مبدأ الثلاثية (حكومة، منظمات

t.me/yasmeenbook

أصحاب أعمال، ونقابات واتحادات عمالية)، وصوغ قانون آخر منفصل للتنظيمات النقابية ومنظمات أصحاب الأعمال، تمثلت فيها بوضوح تام مبادئ حقوق الإنسان، والمعايير الدولية التي تدعو لها المنظمات الأممية ووكالاتها المتخصصة المعنية بقضايا العمل والعمال.

أما على المستوى الشعبي، فقد كانت جهود أمين بيبرس الشخصية بارزة ومثمنة، حيث اتخذ سكنه مقراً لملتقى الأصدقاء والمعارف من الجنسين، تجمعهم أمسيات ثقافية نادراً ما تتيح للفرد مثل هذه الفرصة، حتى أصبح سكنه الخاص نادياً ثقافياً معروفاً لدى معظم مثقفي البلد، يؤمه الكثيرون دون إذن مسبق، أو دعوة لحضور أمسية ثقافية.

ثمان سنوات كان هذا البيت بمثابة معهد ثقافي، يرتب مواسم ولقاءات ثقافية متصلة طوال العام، وكان عدد الحضور يتزايد يوماً بعد آخر، وفجأة توقف الحوار وانقطعت الصلات، وأصبح المنتدى الثقافي بيتاً مهجوراً.

فيصل الشجاع أحد الطالبين اللذين سعيا لدى أمين بيبرس رئيس مكتب شؤون الطلبة العرب، كي يبذل مساعيه الطيبة للحيلولة دون طرد منشار الأشول من دولة برنس، يطلعنا على أمر جلل يقول فيه: «في إحدى الأمسيات من فصل الربيع الجميل،

وفي جلسة حوارية فكرية كالعادة في منزل الصديق أمين بيبرس، ضمت بعض المثقفين والسياسيين من أبناء البلد وبعض الوافدين والزائرين، شعرت بأن صاحبنا أمين على خلاف عادته المرحة، فهو اليوم يميل إلى السكون والهدوء والاستغراق في حالة من الشرود واللاحضور بين المجموعة، وهذا يعني أن أمراً جللاً حدث لصاحبنا، وأن هذا الأمر لا بد أن يكون مؤلماً وجسيماً، لأنه تمكن من عزله عن أصدقائه وضيوفه، ونقله من حالة الواقع إلى اللاواقع، ومن حالة الحركة والحيوية المعهودة التي تدخل البهجة والسرور إلى النفس، إلى حالة من السكون التام والشرود الذهني والفكري».

ويمضي فيصل الشجاع في تعليقه، وهو في حالة من الدهشة والاستغراب قائلاً: «اقتربت من صاحبنا مداعباً ومسترسلاً في النكات والعبارات الساخرة أو المسلية الضاحكة، في محاولة لشد انتباهه وأفكاره الشاردة كي تلامس واقع الحال الذي كنا نعايشه في تلك اللحظة، والذي أخذ مني شيئاً من الوقت، لكن تمكنت في النهاية من شد انتباهه ووضعه في دائرة تعليقاتي فبادرته بسؤال مباشر عن حالته اللامزاجية التي سحبت من عالم رفاقه وضيوفه في تلك اللحظات الجميلة؟ وهو أمر لم يعتد الأصدقاء والمقربون ملاحظته في سلوكه حتى في أشد الأزمات وأحلك الظروف».

أجابه أمين بعد تردد ملحوظ: «أخطرت اليوم رسمياً بأن

t.me/yasmeenbook

الوزارة لن تجدد عقد عملي للمرة الثالثة، رغم الموضوعات الهامة التي لم تستكمل وهي على علم بذلك، لكن هذا اليس بيت القصيد يا أخي فيصل، فأنا الآن في وضع حرج لا أحسد عليه بسبب الأوضاع الداخلية الراهنة في بلدي إثر إبرام اتفاقية الذل والإقرار بهزيمتنا، والمسمى باتفاقية (معسكر داود-كامب ديفيد) مع الكيان الصهيوني، وما ترتب عليها من انشقاق داخلي في بلدي وفي العالم العربي، والذي انعكس على مجمل حياة كل إنسان عربي شهم محب لأمته، وخاصة في بلدي موطن العروبة، ومنبر الوحدة العربية والعمل العربي المشترك».

كان رد فيصل سريعاً يحمل شيئاً من الأريحية وهو يقول: «ما وجه الغرابة في ذلك أستاذ أمين؟ نحن العرب متعتنا دائماً الهزيمة من قبل الأعداء، والانتصار بعضنا على بعض، أو الانتصار على شعوبنا، دعك من هذا كله، ولا تنس وأنت في حالة من الانكماش النفسي الآن، أنت خبير عمالي دولي يمكنك أن تجد فرص عمل بمكتب العمل الدولي أو مكتب العمل العربي، أو مستشاراً عمالياً في أي بلد عربي، أو في بلدك في أصعب الظروف والأحوال، فوزارة العمل ترحب بك في أي وقت، فأنت ابنها المدلل الذي لا يمكن أن تتخلى عنك مهما كانت الظروف».

ابتسم أمين ابتسامة عريضة غيرت ملامح وجهه وهو يردد

كلمة بلدي عدة مرات، ثم انفجر غاضباً وهو يقول: «كيف أذهب إلى بلدي وأرى أهلي وأخوتي بعد رحيل زعيم الأمة العربية وهم في حالة من التعاسة، لا.. لا أريد أن أخاطر وأجازف بحياتي، ومصير لا أعرف نتائجه في خضم بحر الغليان الذي يجتاح أوساط المفكرين والمثقفين والسياسيين في بلدي بسبب اتفاقية الإذعان العربية (كامب ديفيد)، والزيارة المشؤومة لبيت الخراب والجريمة، بيت العنكبوت الصهيوني (الكنيست)، الذي قام بها الرئيس المؤمن عندما أصابته لوثة عقلية، فحمل لنا من هذا البيت المتآمر على الدوام مصائب لا تعد ولا تحصى حلت على بلدي وعلى الأمة العربية، وأنت أخي فيصل تعرفني حق المعرفة، بأنني أمام هذه الأوضاع والمعضلات الوطنية والقومية المتردية لن أظل صامتاً مكتوف اليدين، خاصة وأن علاقتي السابقة بالرئيس المؤمن لم تكن جيدة في يوم من الأيام، ولا تبشر اليوم بخير، ولا يمكن أن تعطي الإنسان شيئاً من الأمل والإحساس بأن هناك مساحة من الترحيب في الوطن لكل من يريد خدمة وطنه وأهله».

أجابه فيصل الشجاع في الحال ودون إمعان في التفكير: «إذاً ليس أمامك خيار سوى إرسال رسالة عاجلة إلى صديقك الذي أنقذته من محنة صاعقة ماحقة، ووقفت بجانبه في أصعب الظروف وأحلك الأوقات، ودافعت عنه من أجل بقائه في بلدك

t.me/yasmeenbook

وعدم طرده ليواجه المجهول، رغم التهمة الخطيرة التي وجهت إليه ولم نصدقها آنذاك».

أجابه أمين باستغراب شديد متسائلاً: «هل تعني الرفيق قائد الضرورة، حامي البوابة الشرقية للأمة العربية منشار بن بتار الأشول؟ كان يردد هذه العبارات وهو يضحك من الأعماق»؟

جاء الرد من فيصل: «نعم، كررها غير مرة.. نعم هو بعينه».

تساءل أمين: «هل تعتقد أخي فيصل أنه سيستجيب لطلبي ونداءي؟ ربما يكون قد نسيني مع مرور الزمن، وانشغاله المتواصل بمصائب قومه ليل نهار، وحجم المسؤوليات الكبيرة والجسيمة التي يتولاها، والخوف والقلق الذي يحيط به بين حين وآخر، ويراوده من انقلاب معاكس، كل هذه الهواجس ربما يجعله لا يتذكرني، أليس كذلك؟».

أجابه فيصل بثقة كبيرة: «نعم..نعم، ربما يكون في هذا شيء من الصحة، لكن هذا الإنسان كما نعرفه، خطير وشقي، يتمتع بذكاء كبير، للأسف الشديد لم يستخدم هذا الذكاء يوماً إلا في أعمال الشر والانتقام!! وهذا ليس انطباعاً شخصياً عابراً، بل معرفة ودراية عن قرب!!».

تشجع أمين بيبرس وأخبر فيصل بأنه سيأخذ بنصيحته واقتراحه، وسيكتب صباح غد رسالة خطية للرفيق منشار الأشول

ويرسلها له عن طريق سفارة بلده، وهم يعرفونني تمام المعرفة، وتربطني صداقة متينة ببعضهم، وهذا ما أقدم عليه أمين في اليوم التالي.

كانت رسالة مفعمة بآلام سياسية شرح فيها ظروفه الصعبة، ووضعه الوظيفي في دولة السلام بعد عدم تجديد عقد العمل له، وعدم تمكنه من العودة إلى بلاده في هذه المرحلة الحرجة لأسباب سياسية لامجال لشرحها في هذه الرسالة، وما هي إلا أيام معدودات حتى جاءه الرد عبر السفارة، يطلب منه التوجه فوراً إلى بلده الثاني أم الطبول، فقد تقرر تعيينه مستشاراً بوزارة العمل.

ومرت السنوات السوداء سريعاً، وأصبح المناخ السياسي في دولة برنس بعد اغتيال الرئيس المؤمن مناسباً للعودة إلى الوطن، وكان أمين فرحاً مسروراً ومشتاقاً لرؤية الوطن قبل الأهل والأصدقاء والأحباب، فرحة كان ينتظرها سنوات طويلة فتحققت من حيث لا يدرك الرئيس المؤمن، الذي ظن بأن الجندي المسلح الذي ارتجل من وحدته المسيرة جاء لتحيته، وإذا ببندقيته الرشاش تجعل جسده مشخل مطبخ، أو منخل دقيق.

يخبرنا أمين بيبرس شيئاً عن مشاعره وأحاسيسه الوطنية قبل أن يترك أم الطبول متوجهاً إلى الوطن والأهل، فيقول: «طلبت موعداً من قصر الرئاسة، القصر الجمهوري للقاء الرفيق منشار

t.me/yasmeenbook

الأشول للاستئذان بالسفر إلى الوطن، فأتاني الرد بالموافقة في اليوم التالي مساءً، رغم إحساسي المسبق بأن الرد لن يأتي قبل أسبوع أو أكثر، كما أخبرني بذلك أحد الأصدقاء لأسباب أمنية واستقصاء معلومات عن طالب المقابلة إذا كان غير معروف لدى الإدارة الأمنية في قصر الرئاسة».

ويمضي أمين في حديثه قائلاً: «كان اللقاء ودياً للغاية، تحدثنا كثيراً عن الأيام الخوالي، وعنك يا فيصل شخصياً، وعن زميلك ناجي الوسيم، وكيف كان لكما دور مهم ومشرف في استمرار بقائه في دولة برنس، لكنه يعتب عليكما كثيراً لقلة زياراتكما له، رغم ترددكما الدائم إلى أم الطبول بحكم عملك التجاري، وتردد زميلك ناجي بحكم ارتباطاته بمجلس إدارة إحدى المنظمات العربية الهامة، ولم يفت على الرفيق – كعادته – أن يتحدث مطولاً عن نضالاته وبطولاته الجريئة التي أصبحت اليوم حديث أقرانه في الحزب في كل مناسبة محلية أو عربية أو دولية».

ويسترسل أمين بيبرس في نقل ما دار بينه وبين الرفيق الأشول قائلاً: «لقد فاجأني الرفيق في نهاية اللقاء برزمتين من (الدرر) كما يقول البسطاء من عامة الشعوب العربية، وهي عملة العم سام الصعبة، فرحت بهما كثيراً للوهلة الأولى، وكدت أشكره، لولا نداء العقل الذي طلب مني أن أتمهل قليلاً، وكان محقاً في ذلك،

عندما أصبت بالإحباط، حين أبلغني الرفيق بأن الرزمتين تضم كل واحدة منهما خمسين ألفاً من العملات الصعبة، عليك إيصال إحداهما إلى بواب العمارة التي كنت أسكنها مع الزملاء واسمه على ما أظن (عم عبدو)، أما الرزمة الثانية فهي من نصيب الطباخ الذي كان يقوم بخدمتنا في تلك الفترة».

شعر أمين لحظتئذ بأنه خرج من المولد بلا حمص كما يقول المثل الشامي، فقال للرفيق منشار مازحاً: «وإذا لم أعثر عليهما لسبب أو آخر بسبب مسافة الزمن الفاصلة بين تلك الفترة والوقت الراهن، والتي تقدر بعقود من الزمن، فماذا عساي أن أفعل بهذا المبلغ الكبير؟ هل أسلمه إلى سفارتكم، أم أعود به ثانية إلى عاصمة بلدكم المضياف لأرجع الأمانة إلى جنابكم الكريم؟».

ويسترسل أمين في تعليقه قائلاً: «ضحك الرفيق من الأعماق - كعادته - حتى التوى فكه الأسفل جهة اليمين، ليقول بصوت جهوري، حلال عليك المبلغ كله أيها الرفيق، أنت تستحق أكثر من هذا!! تمنيت من رب العالمين أن يصدق في قوله هذه اللحظة، ولم يصدق مع الأسف الشديد!!».

انتهت المقابلة بعد أن شكر أمين بيبرس الرفيق الرئيس منشار الأشول كثيراً على المساعدة والثقة التي منحه إياها، كما شكره على حسن الرعاية والضيافة والوفادة طوال فترة إقامته في أم

t.me/yasmeenbook

الطبول، ليعود بعدها إلى أرض الوطن، بعد غياب وفراق دام أكثر من عقدين من الزمن.

كان أول عمل قام به أمين حال وصوله إلى البلاد، هو التوجه إلى العمارة التي كان يسكنها الرفيق مع بعض الزملاء للاستطلاع ما إذا كان عم عبدو لا يزال على قيد الحياة بعد هذه السنوات الطويلة من العمر؟ أم أنه رحل إلى دار الآخرة بحكم عوامل التعرية والتآكل الجسدي بمرور الزمن، وكم كانت دهشته كبيرة عندما وجد الرجل واقفاً منتصباً أمام باب العمارة كأبي الهول، رغم آثار الزمن الذي رسم على ملامحه أكثر من علامة استفهام، وهو لا يزال يطمع في الكثير، ويصيح هل من مزيد!!

يعود أمين بيبرس ليخبرنا بالمزيد حول الحوار الذي دار بينه وبين بواب العمارة قائلاً: «دنوت من أبو الهول الإنسان الحجري وحييته تحية حارة، وكأني واحد من بلدياته، ثم سألته إن كان لا يزال يحمل في ذاكرته شيئاً عن شباب أم الطبول الذين كانوا يسكنون الدور الرابع من العمارة في مطلع ستينيات القرن الماضي، أي قبل أربعين سنة، وكانوا شباباً حلوين مثل الورد، وأنه كان يحبهم كثيراً ويعتبرهم بمقام أولاده، مثلما كانوا يحبونه ويغدقون عليه شيئاً من الإكراميات في نهاية كل شهر، وكان مسروراً بهذه المبادرات ويعتبرها هدية شهرية من الأبناء دون ذكر الأسماء!!

رغم عوامل التحفيز التي لجأ إليها أمين، إلا أن البواب عم عبدو ظل صامتاً كالأهبل ينظر إلى أمين بعينين مفتوحتين حتى النهاية، وفم مفتوح كنفق قطارات، ثم أجابه بشيء من اللامبالاة، بأنه لا يتذكر شيئاً مما يقول، رغم محاولات أمين إنعاش ذاكرته وزجه في حالة من العصف الذهني حول عدد من الأمور والوقائع لعلها تنعش الذاكرة التي أخذت إجازة منذ تاريخ ولادته، فيتذكر شيئاً عن شباب دولة أم الطبول الساكنين في الدور الرابع من العمارة، لكن دون جدوى!!

لم ييأس أمين بيبرس من محاولاته المكثفة لتحريك الجثة الهامدة التي أمامه، كي ينطق بحرف عن هؤلاء الشباب، فأخذ يعد له أسماء ساكني الشقة واحداً تلو الآخر، وهو يرد ببرود أعصاب بأن العمارة كانت ملأى بالتلاميذ العرب، وكان أمين يكرر له كل مرة متعمداً اسم الرفيق منشار بن بتار الأشول بين الأسماء التي يذكرها، فلم يتذكر شيئاً!! وكان رده في كل مرة أن العمارة لم يسكنها نجارون ولا حدادون ولا بائعو الخردوات.

فجأة وجد أمين بيبرس مفتاح الفرج فصاح بالبواب: «يا راجل نسيت حبيبك عبود المطيع اللي كان يكرمك تملي وبالذات في المناسبات، وأنت كنت مبسوط منه على الآخر وتشكر فيه تملي؟».

t.me/yasmeenbook

صاح أبو الهول.. عفواً البواب بأعلى صوته: «أيوه.. أيوه افتكرتهم.. افتكرتهم، لكن لا أعرف أسماءهم عدا الراجل الطيب عبود، ده كان صاحبي ويكرمني كلما يشوفني زعلان أو متضايق، وأنا كنت بحبه وأعزه، وأدعي له بالنجاح وبطول العمر، وأدعو ربنا في صلواتي أن يسهل طريقه ويأخذ بيده دائماً».

في هذه اللحظة اغتنم أمين بيبرس الفرصة، محاولاً استدراج البواب كي يركز فكره وعقله وما يملك من حواس حول الرفيق منشار الأشول، لكن دون جدوى أيضاً!! بل إن البواب صاح بأمين قائلاً: «ما قلت لك ألف مرة، العمارة ما سكنهاش نجارين من يوم ما اتبنت؟».

ضحك عم عبدو البواب بصوت عال وبنغمات متقطعة حتى بانت أسنانه الاصطناعية، وهو يقول لأمين بعفوية عجيبة: «إزاي يا فندم دنا لو بعرف أقرأ وأكتب كنت حتشوفني واقف أودام هالعمارة زي التمسال، واللي بقالي واقف أودامها أكثر من خمسين سنة، يا فندم لو كنت بعرف أقرأ وأكتب كان زماني باش كاتب كبير أد الدنيا، مش حتت بواب مسكين واقف حارس أمام عمارة، الكل يشتم فيني ويحتقرني، ويدعي عليَّ بالموت بسبب وأحيان بدون سبب».

استمر أمين بيبرس في محاولاته التنشيطية لذاكرة هذا

المخلوق، وأخذ يكرر تلك المحاولات والعبارات والأسئلة واحدة تلو الأخرى بطريقة وأسلوب يتسم بالهدوء وجمال مخرجات الكلمات والألفاظ، حتى تمكن من الدفع به للتعرف والاستدلال على شخصية الرفيق منشار الأشول، بعد أن أنعش ذاكرته وبرمجها على الموجة التي يريدها من خلال سرد بعض الوقائع والحكايات والأحداث والمواقف المثيرة والغريبة، مع شرح مسهب لتفاصيل ملامحه الحادة وأسلوبه الهادئ الناعم في الحديث مع الضيوف والأصدقاء.

هذه المواجهة والحوار الإكلينيكي التي تنطق نزلاء مستشفيات الطب النفسي، دفعت البواب عم عبدو بأن يصيح بأعلى صوته الأجش للمرة العاشرة: «عرفته.. عرفته، مش الواد الغلبان؟».

ضحك أمين من أعماقه وهو يقول: «غلبان.. قال غلبان.. غلبان إيه يا عم عبدو أنا لسه جاي من عنده، وبيسلم عليك كثير، وباعت لك معاي هدية كبيرة تخليك ملك زمانك!!».

قال عم عبدو بعفوية وسذاجة متناهية: «إن شاء الله حُصل على شغلانه كويسة في بلده اللي اسمها أم البتاع!! ده كان غلبان أوي ياعيني!! كنت دائماً أقول هالواد الهادئ ما راح يفلح بين الشياطين والأبالسة اللي بيشربوا الدروس زي ما يشربوا المية،

t.me/yasmeenbook

علشان كده كان خوفي عليه كتير أوي من أن يضيع في دروب الحياة زي ما يقولوا المسقفون».

عندئذ توكل أمين ببرس على الله وفتح الشنطة وسلمه الأمانة، فتسمرت عينا عم عبدو، وتوسعت حدقة عينيه حتى النهاية على رزمة نقود لا يعرف هويتها ولا يعرف أي بلد تخص، بل لم يرها من قبل في حياته، وهو يصيح بحالة هستيرية، ويضرب كف بأخرى، وهو يقول: «إيه ده أفندم؟ ده فلوس أي دولة؟ أنا بعرف فلوس دولة أم الطبول، هو منشار جاب ها لفلوس منين؟ الله يستر ما يكون كده ولا كده؟ يعني ما يكون الفلوس اللي بيقولوا عنه مغسول بمية النجاسة؟».

رد عليه أمين ضاحكاً وخائفاً في الوقت نفسه من أن يصاب الرجل المسكين بأزمة قلبية أو جلطة دماغية: «دي الهدية يا عم عبدو، فلوس بلاد العم سام اللي بيسموه الغلابة زيكم (درر)، وأحياناً بيقولوا عنه (عملة صعبة) ، وعلى أية حال هذا رزق جالك من السما ترفضه؟ أنا ما عندي مانع آخذه حتى لو مغسول بمية الجن أو مية الميتين».

أجابه عم عبدو وهو في حالة من الارتباك الشديد، ويداه ترتعشان، ولسانه انحشر في حلقومه، وانقلب لون بشرته من الأسمر الغامق إلى الأصفر الفاقع، وبدأ مرحلة من الهلوسة

والتأتأة في مخارج الكلمات والحروف وهو يقول: «هو بيشتغل إيه يا فندم؟ لا يكون في الممنوعات، فأنا حالف اليمين وبالطلاق أبتعد عن سكة الحرامية واللي ملهمش ذمم، واللي بيشتغلوا في كل شيء حرام في حرام، ولا يحرك ضميرهم شعرة معاوية أو شعرة الملكة بلقيس!!».

لم يصدق البواب عم عبدو عندما أخبره أمين بيبرس أن منشار الأشول أصبح رئيس جمهورية فجن جنونه وأخذ يضرب كفاً بكف كعادته، وهو يردد عبارة: «مش معقول.. كده مرة وحدة»، عبارة رددها غير مرة، ثم أخذ يهز برأسه موافقاً وهو يقول: «ممكن، أشمعنى ما يصير رئيس جمهورية وحتى ملك الملوك!! محنا بتحصل عندنا كثير!!».

هكذا طارت أول رزمة من (الدرر)، عملة العم سام لتتبعها الرزمة الثانية، حين تمكن أمين من الوصول إلى القرية التي يسكنها الطباخ، بعد أن استدل عليها من قبل البواب، وكانت تقع في ناحية مسقط رأس الرئيس المؤمن الذي طاف ببيت العنكبوت، البرلمان الصهيوني، بدلاً من أن يطوف بالكعبة المشرفة، المؤمن الذي أرعبه وحرمه من رؤية وطنه وأهله وأحبابه طوال فترة حكمه لدولة برنس.

يقول أمين بيبرس: «ذهبت إلى تلك الناحية فوجدت الطباخ

t.me/yasmeenbook

المدعو سمهاري الهلالي لا يزال على قيد الحياة، ورغم تقدمه في السن إلا أنه واعٍ، فقد تعرف إلى الرفيق منشار بن بتار الأشول، وكان يعلم أنه أصبح رئيساً لجمهورية أم الطبول، كما أنه لم يستغرب كثيراً عندما ناولته رزمة النقود، فأخذ يدعو له بالصحة والتوفيق وطول العمر، وأن يراه يوماً زعيماً للأمة العربية».

في ختام هذا الجزء من الرواية، نستطيع القول صدق البواب الأمي الجاهل البسيط، الذي لم يكن يملك سوى جزء من الذاكرة، وخاب فأل الطباخ بزعامة الأمة العربية، عندما سحرته رزمة (درر) العم سام وامتلك مشاعره ووجدانه وفكره، ولو تحقق ما أراده لأصبح معظم العرب، رجالاً ونساءً شباناً وشابات سفرجية في مطبخ العم سام، أو عملاء وأتباعاً يخدمون العم سام تحت كلمة حلفاء أو أصدقاء.

يبدو أن الطباخ نسي أو تناسى أن (الواد الغلبان) الرفيق منشار بن بتار الأشول الذي أصبح رئيساً لدولة عظيمة في التاريخ، قد هدر بأفعاله الشيطانية الطائشة إمكانية مادية وبشرية لأمة تدرك تماماً أنها ستدخل يوماً في معركة فاصلة مع الكيان الصهيوني المغتصب برعاية ودعم العم سام.

فأرض أم الطبول أصبحت في عهده مكبلة بديون ضخمة لن تشفى من آثارها وتداعياتها الخطيرة والمدمرة، وأن هروب

وهجرة آلاف الكفاءات والعقول المهنية والعلمية والفكرية إن لم يكن الملايين، هروباً وهجرة قهرية خارج الوطن بسبب الظلم والطغيان، خسارة قومية ووطنية فادحة بحق الوطن وحق الأمة العربية.

في هذا الجزء من الرواية عشنا مع الجهود الكبيرة التي بذلها أمين بيبرس رئيس مكتب شؤون الطلبة العرب، للحيلولة دون طرد الرفيق منشار بن بتار الأشول من دولة برنس بتهمة العمالة لدولة الاستعمار الجديد-العم سام، مثلما شاركتنا أيها القارئ العزيز في الوقوف على أحداث ما جرى في هذا الجزء من الرواية، لذلك ندعوك ثانية من جديد لمشاركتنا في الوقوف على أحداث الجزء القادم من الرواية، التي ستتناول أحداث عهد جديد دموي بطله منشار الأشول، عهد سيقود إلى استعمار جديد حقيقي، فكن معنا أيها القارئ ولا تبخل علينا في المشاركة بجزء من وقتك الثمين في هذه الرحلة الفكرية الشيقة.

t.me/yasmeenbook

4

عهد دموي يقود إلى استعمار جديد

عهد بدأ حكمه برسالة تحذير وتهديد لكل معارض وصاحب فكر ومبادئ ومُثل عليا بأن عليه الانضباط والسير بهدوء على خطى العهد الجديد، وإلا سيكون أمام مفترق طرق لا ثالث له سوى الرحيل عن أرض أم الطبول أو التصفية الجسدية، إذا ما فكر في مناهضة العهد، والعمل على إسقاط النظام، وهذا ما حصل عندما بدأ النظام بتصفية المعارضين من رجال دين وسياسيين وحزبيين معروفين لدى المجتمع الدولي، دون مراعاة السن أو المكانة العلمية والاجتماعية والدولية لهؤلاء المفكرين وأصحاب الرأي الحر.

اعترف الرفيق منشار الأشول في إحدى رسائله التي بعثها إلى إعلامي وكاتب فلسطيني، عمل مدرساً في عدد من الدول العربية، بأن كل ما ظهر على شاشات التلفزة من سجون ومقابر جماعية صحيح مئة في المئة، نعم أنا ورجالي قمنا بها.. لماذا؟

لأني وجدت الشعب لا يؤمن بتحديد النسل؟ هل أتركهم ليصبحوا مئة مليون، لا تكفيهم ثروات البلد؟ لا.. قمت بهذه المجازر ليس عشقاً مني للدم ولكن لتحديد النسل، ليتناسب مع ثروات البلد!!

كان القطب الشيوعي الأحمر أكبر الداعمين للعهد والنظام، وأكبر الممولين له بالسلاح على مختلف أنواعه، بما في ذلك الأسلحة الكيميائية التي لم يتردد الرفيق منشار الأشول في استخدامها ضد شعبه في شمال البلاد، كغاز الخردل وغاز السارين، في حملة تطهير عرقي لم يشهد التاريخ مثيلاً لها، أطلق عليها (عملية الأنفال)، وكانت بحق حملة إبادة جماعية، حفر المواطنون لقتلاهم مقابر جماعية تضم الآلاف من الأبرياء، قتلوا دون سبب أو فعل خارج على القانون جرموا عليه.

هنا كانت وقفة تساءل فيها ناجي الوسيم قائلاً: «كما أعلم أن الأنفال سورة ورد ذكرها في القرآن الكريم عند المسلمين، وهي سورة اهتمت بأحكام الأسرة والغنائم (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول)، فماذا يعني الأنفال هنا، وقد أطلقت على حملة إبادة جماعية بحق أبرياء من البشر؟».

أجابه زميله فيصل الشجاع قائلاً: «الأنفال هنا أطلقت على حملة عسكرية أطلقها الرفيق منشار الأشول في شمال البلاد، وتم

t.me/yasmeenbook

تنفيذها على مراحل متعددة في عدد من مناطق الشمال المكتظة بالسكان والتي يسكنها مواطنون من أصول غير عربية، حيث تولى ابن العم الملقب بعلاوي الكيماوي هذه المهمة اللاإنسانية، حتى كان يطلق عليه أحياناً (عليّ الأنفال) الذي اتبع سياسة الأرض المحروقة مع شريحة عُزل من السكان، وأفرغ المنطقة من سكانها، حيث قضى مئات الآلاف من الأبرياء نحبهم، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، ودفن الكثيرون منهم وهم أحياء، ولم يترك بيتاً دون هدمه على رؤوس أصحابه وهم أحياء.

كان الجلاد الميداني المكلف بهذه العملية الإجرامية كما أشرنا هو ابن عم الرفيق منشار الأشول المدعو علاوي الكيماوي، المتهم الأول بالمجزرة، وهي واحدة من أسوء المجازر في التاريخ الحديث، كتلك التي حدثت قديماً في غزوات تيمورلنك وجنكيزخان، والقمع العثماني في صربيا، كما ألحق الكيماوي بهؤلاء خمسة آلاف آخرين معظمهم من النساء والأطفال، جراء قصف جوي بمختلف أنواع الأسلحة الكيميائية، مثلما لقي الكثيرون من مواطني شمال البلاد حتفهم بسبب تداعيات هذه الأسلحة الفتاكة الملوثة، جراء إصابتهم بمرض السرطان وأمراض أخرى وراثية قاتلة، وقد وصلت المحصلة النهائية للقتلى والموتى إلى أكثر من خمسة آلاف وخمسمئة من الأبرياء، وامتدت هذه

التداعيات والأمراض الوراثية إلى الأجيال المتعاقبة، كما أفاد المتخصصون والمراقبون للحدث من المختصين، بأن مؤثرات هذه المواد الكيميائية انتقلت من جيل إلى آخر، ليس عن طريق الماء أو التربة، وإنما عن طريق الجينات التي صاحبت ارتفاعاً ملحوظاً في حالة الولادات المشوَّهة.

هذه الأعمال الإجرامية جميعها حدثت في أم الطبول في عهد الرفيق منشار الأشول، على الرغم من أن إقليم الشمال المنكوب كان يتمتع بمبدأ الشراكة والتوافق والفيدرالية.

شاهد عيان، وهو صحفي أجنبي تمكن من الوصول إلى المنطقة بعد الأحداث المؤلمة مباشرة يقول: «شاهدت فتاة في الثامنة أو التاسعة من العمر، على وجهها ما يشبه مسحوق أبيض اللون، قمت بإزالته، كانت الفتاة لا تزال حية لكن في الرمق الأخير، نقلتها إلى جوار جدار قريب، وأجلستها، ثم أخذت أبحث عن غطاء يمكن أن أستخدمه لتغطيتها، وعندما عدت وجدتها قد فارقت الحياة».

ويضيف شاهد العيان على ما شاهده قائلاً: «ثم رأيت جثة رجل مسن قضى نحبه وهو يحتضن حفيده الرضيع المتوفى بفعل الأسلحة الكيميائية، ورأيت أيضاً العديد من الأطفال ميتين وهم في أحضان آبائهم، أو قضوا نحبهم وهم في أحضان أمهاتهم

t.me/yasmeenbook

نتيجة القصف الكيميائي، كما أتذكر مشهداً لسيارة نقل صغيرة كانت محملة بالنساء والأطفال الذين حاولوا الهروب من المدينة المنكوبة لكنهم لم ينجحوا فقتلوا وهم داخل السيارة».

هكذا مارس الرفيق منشار بن بتار الأشول مختلف الجرائم خلال فترة حكمه لأم الطبول التي دامت أربعة وعشرين عاماً، كما قام بشتى الانتهاكات لحقوق الإنسان بين أوساط شعبه، شملت قائمة انتهاكات تتضمن صنوف الجرائم، وتتمثل في جرائم القتل الجماعي والتعذيب والاغتيال، وإعدام الرفاق في الحزب والعمل السياسي بتهمة التآمر مع الجار البعثي الشامي، والذي كان يأمر بتنفيذها الرفيق منشار دون تحقيق أو محاكمات، من بينها اغتيال الصديق عبود بن حسون المطيع الذي أحسن عليه، ووفر له إقامة مريحة طوال إقامته في دولة برنس مجاناً، كانت مكافأته له تعيينه وزيراً للخارجية، ثم عزله لسبب غير معروف، ثم اغتياله في وضح النهار في منطقة سكنه، وأيضاً لسبب مجهول.

لم تقف جرائم الرفيق منشار الأشول عند هذا الحد من الانتهاكات والجرائم الإنسانية، بل إنه كان يصدر جملة من الأوامر لتصفية معارضين له قبل أن يخلد للنوم، وخاصة مساء يوم الخميس ويوم الجمعة حيث يرتكب خلالهما جملة من المعاصي الأخلاقية، وكان لا يتردد في تصفية أعضاء حزبه ورفاق دربه

وأصدقائه الشخصيين، ولا يزال شعب أم الطبول يتذكر إعدام مجموعة من الزملاء في حادثة عرفت بمؤامرة الرفاق.

أعدم الرفيق منشار الأشول آلاف الأبرياء، وقمع جميع الانتفاضات التي حدثت في فترة رئاسته، لكنه أولى أهمية كبيرة للفكر العربي الاشتراكي، وكان يرى دائماً ضرورة النظر إلى أبعد من الدين من أجل تقدم النضال الثوري، لذلك قيَّد جميع المظاهر والاحتفالات والشعائر الدينية، ومنع المسيرات ذات الطابع الديني، وبذل كل الجهود من أجل إضعاف المؤسسات الدينية والحوزات العلمية، واعتبرته مجلة نيويورك تايمز في ذلك التاريخ أقسى إنسان في القرن العشرين.

هذا الإنسان الذي خرج من العدم إلى قمة السلطة، كان يعشق العنف ويتلذذ بأي سلوك عدواني يقوم به شخصياً، أو يشاهده في مشهد مرعب، على الرغم من أن السلوك العدواني بطبعه ومفرداته سلوك مزعج، وفعل عنيف موجه نحو هدف معين، وكان يعشقه منشار الأشول ويمارسه بشغف كبير.

هنا تساءل بعض أطراف الرواية: هل نستطيع أن نقول بأن هذا الحاكم كان مصاباً بمرض نفسي يطلق عليه الوسواس القهري؟ الذي يُكبل فكر صاحبه بأفكار شاذة تراوده وتعاوده ثم تلازمه، وقد يطول به مدى الحياة ولا يستطيع طردها من ذهنه، أو التخلص

t.me/yasmeenbook

منها حتى وإن شعر بغرابتها وعدم واقعيتها وجدواها، والغريب أن هذا الوسواس ينتقل من عالم الأفكار إلى عالم الأفعال، وهنا تكمن الخطورة، خاصة عندما يكون المصاب بها يحتل موقعاً قيادياً، فما بال الأمر إذا كان رئيس دولة ويتحمل رعاية وحماية شعب بأسره!!

يتدخل ناجي الوسيم كصاحب خبرة واختصاص في الدراسات النفسية ليخبرنا بالآتي: «إذا حاولنا سحب هذا المفهوم على علم النفس السياسي، فإننا نلاحظ عندما يغتصب أي حاكم السلطة بالقوة، أو يرثها عنوة كحال الرفيق منشار الأشول، ثم يستمر نظامه العدواني تحت حماية البنادق والهراوات والدروع، والحجز خلف أسوار السجون والمعتقلات، فمن الطبيعي أن يصاب هذا الحاكم بوسواس قهري، أو ما يسمى (وسواس الانقلاب) أو (وسواس الكرسي)، حيث تلازمه أفكار غريبة وعجيبة بأن الجميع يتآمرون لإطاحته، وهذا بلا شك امتداد وانعكاس لسلوكه التآمري السابق للاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها، وتحت استمرار ضغط هذا الوسواس يجد الحاكم المستبد نفسه وقد تملكه شعور بأن الجميع يتآمرون عليه ويريدون الخلاص نفسه بأي ثمن».

ويستمر ناجي في تعليقه قائلاً: «إذا أردنا التعرف إلى السمات الشخصية لمثل هؤلاء الحكام وعلى رأسهم منشار الأشول، فإننا نلمسها بوضوح في السلوكيات الآتية:

- الرغبة في الاستئثار بالقوة والسيطرة على الآخرين.
- القلق الدائم، والشك المستمر حتى في أقرب الناس إليه.
- الحساسية الشديدة لعلاقات القوة التي تدفعه إلى القيام بضربات إجهاضية متتالية لمنافسيه لاستنزاف قواهم.
- عدم الميل إلى الحوار، ولا إلى النواحي الإنسانية، ومن ثم فهو يميل إلى القمع والعنف».

ويستكمل ناجي تعليقه وتحليله للسمات الشخصية لبعض الرؤساء وبعض الحكام قائلاً: «هذه السلوكيات المرضية لشخصية برزت من العدم إلى القمة تجعلنا نتساءل: لماذا نستغرب أفعال منشار الأشول الشيطانية التي تقود إلى الهاوية، عندما زين له الشيطان الكبير العم سام أن يعبر الشط على موده، ويخليه على رأسه، وكل غطة يحس بالموت، وبقوة تشهق أنفاسه، كل هذا وقال أمرك سيدي، أحلى من العسل أمرك، وين تروح أروح وياك، بس لا تجرح إحساسي، عبرت شاطئ أحلامك، بتضحيتي وسهر ليلي، ولا مرة قلت ممنون، وأنا المنهدم حيلي».

وهكذا عبر الرفيق منشار بن بتار الأشول الشط العربي على مود وإغراءات العم سام، وعلى أنفاس وأحاسيس ومشاعر شعب أم الطبول، وهم يشاهدون أبناءهم، فلذات أكبادهم من الشباب على ظهر المصفحات والآلات العسكرية متوجهين إلى الضفة

t.me/yasmeenbook

الشرقية من بحر الخليج العربي، وإلى المصير المجهول، وهم يصيحون بأعلى أصواتهم: «نعبر الشط سيدي على مودك أيها الرفيق منشار وانخليك على رؤوسنا».

لكن الهاتفين لم يكتفوا بهذا الهتاف، وإنما بعثوا برسالة للرفيق منشار يقولون فيها: «إيش قصرنا وياك، وأيش تطلب بعد أكثر، على صدورنا تنام الليل، ونقول مرتاحين وإحنا سهرانين، تمر عيوننا بعيونك، وأنت عيونك لغيرنا، فضلناك على روحنا، وضاع ويّاك أقدارنا».

ثمانية أعوام من الحرب الضروس، استعمل فيها الأشول كل أنواع الأسلحة المسموحة والمحرمة ضد الدولة الفارسية، واعتبر نفسه نسخة ثانية منسوخة من القائد العربي سعد بن أبي وقاص، كما أعلن نفسه بطل القادسية الثانية عندما وصلت طلائع جيشه إلى مقربة من أبواب العاصمة الفارسية كما ادعى، وهو محق في ذلك، فقد شاهدت أنا كاتب هذه السطور بأم عيني الشعارات المكتوبة على الجدران وعلى الدبابات المعدومة، على جذوع الشجر والنخيل.. شعارات تمجد بالرفيق منشار الأشول، تمنيت في تلك اللحظة لو حدث ذلك على حدود عاصمة دولة فلسطين المحتلة، لبقيت أصفق لمنشار الأشول من الأعماق طوال حياتي.

يقول الراوي، بعد أن استكمل منشار الأشول جريمته في

شمال البلاد ضد شعبه، ومسحهم بالقنابل الكيميائية، توجه بجيشه إلى البوابة الشرقية للأمة العربية بالسلاح الشامل المدمر نفسه، فحرق اليابس والأخضر وهو في طريقه إلى إقليم عربستان، ونظراً لأن الثورة الشعبية التي أطاحت الملكية في بلاد فارس كانت حديثة العهد، والدولة لم تكن تملك جيشاً منظماً، ولا سلاحاً يمكن أن يواجه جيش منشار الأشول الذي وصل إلى حدود العاصمة، ورغم ذلك لم يتجرأ الجيش المدجج بالسلاح على اقتحام العاصمة لأسباب يعرفها جيداً قادة الجيش، ألا وهو هلاك أفراده بيد الملايين من البشر المدججين بأسلحة خفيفة وبالنفوس والسيوف والحجارة وقوة أجسادهم، والاحتماء بسلسلة الجبال المحيطة بالعاصمة.

يقول شاهد عيان، وهو كاتب هذه السطور: «مشيت في هذا الطريق إلى مدينة الأحواز والحويزة وعربستان مجمع الآبار النفطية للدولة الفارسية، وهي منطقة وإقليم عربي في التاريخ البعيد، فشاهدت دماراً لا تصدقه العين، وشاهدت بساتين النخيل التي كانت تغطي هذه المنطقة بمسافات ومساحات لا يدركها البصر، وخضرة وينابيع تبهر العين والنظر أينما اتجهت بطرف عينك، كل هذه المناظر الطبيعية الجميلة أصبحت بقايا حرائق، وأراضي محروقة كلها دخان ورماد، حتى جذوع النخيل الصامدة كانت

t.me/yasmeenbook

واقفة سوداء بدون أن تحمل أية سعفة خضراء، الطريق كان ممتلئاً بجيف الأغنام والماشية المحروقة العفنة، وحيوانات مفترسة جاءت وتجمعت لتقتات بما تبقى من لحوم وبعظام تلك الجيف».

يقول شاهد العيان بألم ومرارة: «من تبقى على قيد الحياة من سكان الإقليم، وهم عرب أقحاح لم يكن الجيش المعتدي يميز بين شاب وطفل، أو امرأة ورجل، عربي أو غير عربي، بل كان يسحق كل من في طريقه، وينهب الغالي والثمين، وكانت الفتيات يرمين أنفسهن من أسطح منازلهن عندما يقتحم الجنود بيوتهن، أو يلقين بأنفسهن في الأنهار والترع والقنوات المائية، أو في بحيرة قارون التي امتلأت بجثث فتيات في عمر الزهور، قذفن بأجسادهن في البحيرة وهن لا يجدن السباحة، خوفاً من الاغتصاب، مقبلات طائعات بوضع حد لحياتهن، على الرغم من أنهن عربيات أقحاح يشهد لهن التاريخ، لكنهن لم يسلمن من جنود منشار الأشول.

رغم انشغال الرفيق الأشول بممارسة هواياته المحببة بارتكاب الجرائم البشعة، لم ينسَ أن يظهر أمام العالم العربي بأنه أديب وشاعر فحل، ينظم أشعاراً ويقيم منتديات وأمسيات شعرية، يدعو لها كبار الأدباء والشعراء في العالم العربي، ولم يترك شاعراً أو أديباً، امرأة أو رجلاً إلا دعاهم لحضور هذه المنتديات الأدبية

والمهرجانات الشعرية، وكان أول من يعتلي المنصة بقصيدة شعرية.

كانت أولى قصائده التي أطلقها في أول مهرجان شعري تحمل عنوان (أطلق لها السيف)، والتي أخذ يكررها في كل منتدى أو مهرجان شعري فيما بعد وكأنه لا يملك غيرها، أو ربما من قام بنظم أبياتها قد انتقل إلى رحمة الله ولن يستطيع أن ينظم شعراً على غرارها.. قصيدة يقول فيها:

أطلق لها السيف
أطلق لها السيف
أطلق لها السيف
وليشهد لها زحل
أطلق لها السيف
قد جاش العدو لها
فليس يثنيه
إلا العاقل البطل
أسرج لها الخيل ولتطلق أعنتها
ففي أعرافها الأمل
دع الصواعق تدوي في الدجى حمماً
حتى يبان الهدى والظلم ينخذل

t.me/yasmeenbook

وأشــرق بوجه الدجى كلما عتمت
مشاعلاً حيث يعشو الخائر الخطل
واقــدح زنــادك وأبــق الـنـار لاهبةً
يخافها الخاسئ المستعبد النذل
أطلق لهـا السيـف جــرَّده باركـه
مـا فـاز بالحق إلا الـحـازم الرجل

كان الرفيق منشار الأشول يحب مادحيه ويعشقهم إلى أبعد الحدود، ويقربهم ويجزي لهم العطاء، أما ناقدوه فكان يحرمهم من المشاركة في المنتديات الأدبية والمهرجانات الشعرية في المرات القادمة، وإذا كانوا من غير مواطني أم الطبول فيمنع دخولهم البلاد كأشخاص غير مرغوب فيهم، وكان بين المادحين أميرة خليجية تعشق أرض أم الطبول، وكأنها مسقط رأسها، ففي أحد المهرجانات الشعرية الكبيرة التي نظمها الرفيق، كانت لها قصيدة تقول فيها وعلى الملأ:

أنا امرأة قررت أن تحب أم الطبول
وأن تتزوج منه أمام عيون القبيلة
فمنذ الطفولة كنت أكحل عيني بليل أم الطبول
وكنت أحنّي يديَّ بطين أم الطبول
وأترك شعري طويلاً ليشبه نخل أم الطبول

لكن شاعرتنا سرعان ما تركت حبها وعشقها لأم الطبول إلى نوع آخر من الحب والمديح المستتر تقول فيها:

أنا امرأة لا تشابه أي امرأة
أنا البحر والشمس واللؤلوة
مزاجي أن أتزوج سيفاً
وأن أتزوج مليون نخلة
مزاجي أن أتزوج يوماً
صهيل الخيول الجميلة
فكيف أقيم علاقة حب
إذا لم تُعمَّد بماء البطولة
وكيف تحب النساء رجالاً بغير رجولة

أما بين الناقدين فكان ذلك الشاعر العربي الفدائي المحدث الذي ملأ الدنيا ضجيجاً بأشعاره المحدثة، وأشعل قلوب النساء حباً وشوقاً قبل أن يرحل عن هذه الدنيا، هذا الشاعر الفحل لم يهب الرفيق، بل وقف أمامه شامخاً في مهرجان شعري عربي ليقول:

هم يقطعون النخل في بلادنا ليزرعوا مكانه
للسيد الرئيس غابات من الأصنام

t.me/yasmeenbook

قد دخل القائد بعد نصره لغرفة الحمام
ونحن قد دخلنا ملجأ الأيتام
نموت مجاناً كما يموت الذباب
ويدخل الموت علينا ضاحكاً ويقفل الأبواب
نموت بالجملة في فراشنا
ويرفض المسؤول عن ثلاجة الموتى بأن نموت في حرب الإشاعات
نموت مقهورين، منبوذين، ملعونين، منسيين كالكلاب
والقائد السادي في مخبئه يفلسف الخراب

ويزيد الشاعر العربي المحدث الناقد أبياتاً من معاناته مع الحكام قائلاً:

في كل عشرين سنة
يأتي إلينا حاكم بأمره
ويأخذ الشمس إلى منصة الإعدام

في كل عشرين سنة
يأتي إلينا نرجسي عاشق لذاته
ليدعي بأنه المهدي والمنقذ والواحد والخالد

t.me/yasmeenbook

في كل عشرين سنة
يأتي إلينا رجل مقامر
ليرهن البلاد والعباد والتراث

في كل عشرين سنة
يأتي إلينا رجل معقد
يحمل في جيوبه أصابع الألغام

ومن المنتديات والمهرجانات الشعرية، نذهب كغيرنا من محبي الشعر والأدب الشعبي إلى مقهى عزاوي وسط العاصمة، وهو من مقاهي أم الطبول القديمة المشهورة.

لم يقصر الرفيق منشار الأشول نشاطه الأدبي والشعري على تنظيم المنتديات الأدبية والمهرجانات الشعرية، وإنما دأب في مفاجأة رواد مقهى عزاوي خلال شهر رمضان من كل عام، ليشارك الرواد في الشعر الشعبي، محاولة منه لإبعاد صفة العدوانية والسادية عن شخصيته، وأنه واحد من أبناء هذا الوطن، وينتمي إلى شريحة البسطاء من الناس، ويجد المتعة والمتنفس الروحي والوجداني عند مشاركتهم في أية فعاليات شعبية.

مقهى عزاوي من مقاهي أم الطبول القديمة المشهورة، وخاصة في ليالي شهر رمضان كما أشرنا، حيث يتحول المقهى

t.me/yasmeenbook

إلى مسرح شعبي يصدح فيه الشعر والغناء الشعبي، كما ينظم خلال هذه الليالي الألعاب الشعبية التي تقوم على الفراسة والتأمل، وقد لحن أحدهم قصيدة شعبية باسم المقهى، وكان يرددها الرفيق ساعات تجليه مع العشق والغرام.. قصيدة يقول مطلعها (يا كهوتك عزاوي.. بيه المدلل زعلان)، وفيما يلي بعض أبياتها:

وفراقهم بكاني كالمطريَّة في الضلع
بيك احترق دلالي، يقلون حبي زعلان
أركض وراهم حافي، وعبيتي على جتافي
بوسه من الأسمر كافي، وسواها بيا سلمان
بيك احترق دلالي، يقلون حبي زعلان
آه.. يا كهوتك عزاوي، بيها المدلل زعلان
أركض وراهم وأصيح، نوبه انكبح نوبه أطيح
ما ظل بيا عظم صحيح، وسواها بيا سلمان
آه.. يا كهوتك عزاوي، بيها المدلل زعلان

يقول الراوي، دعونا من الشعر والأدب اللذين اتخذهما الأشول ستاراً لتحسين صورته الشعبية، والتقرب إلى الطبقات الدنيا والمتوسطة كرسالة موجهة إلى الأوساط الكادحة المناضلة.

دعونا من ذلك، ولنعد من جديد إلى البوابة الشرقية للأمة العربية والقادسية الثانية.. قادسية منشار بن بتار الأشول، وليس قادسية القائد العربي سعد بن أبي وقاص، نعود لنقف على بطولات منشار في أرض بلاد فارس، لنكون شهوداً على هزيمته أمام دولة لم تكن حينذاك تملك جيشاً ولا سلاحاً للدفاع عن نفسها.

ويضيف الراوي على ما فات، فيقول، لشديد الأسف بعد ثمان سنوات من العيش المؤلم والكئيب في التيه والتيهان في صحاري بلاد فارس عاد الجيش المنتصر مهزوماً بحكم عوامل التعرية المناخية، وأصبح الشط العربي الذي دخل الحرب من أجله الرفيق الأشول لإلغاء الشراكة العربية الفارسية التي تم الاتفاق عليها عام 1975م في عاصمة دولة المليون شهيد، عاد من جديد صفر اليدين وبقيت الشراكة كما كانت.

لكن الكارثة لم تنحصر في الجبهة التي انهارت بانهيار معنويات الجيش والأرواح التي ذهبت سدى، وإنما الكارثة اشتعلت عند عودة الجنود إلى الوطن، ليجد الكثيرون زوجاتهم وهنَّ في أحضان غرباء، بعد أن تزوجن أجانب وخاصة من مواطني دولة برنس الذين تزوجوا زوجات الجنود الذين انقطعت أخبارهم عن أسرهم مدة ثمان سنوات متواصلة، فاعتقدوا أنهم باتوا في عداد القتلى، فأخذت زوجاتهم يتزوجن مواطنين من

t.me/yasmeenbook

دولة برنس الذين يبحثون ويسعون إلى الاستقرار في بلاد أم الطبول، لكن نهاية غرامهم كانت القتل على أيادي الأزواج العائدين من جبهة القتال، وهذا ما أثبتته التحقيقات فيما بعد، بأن أسباب الوفاة هي إطلاق النار، حيث تسلمت السلطات الرسمية في دولة برنس حوالي خمسة آلاف نعش قتل أصحابها بأيدي جنود عائدين من الجبهة، عندما فوجئوا بوجود غريب يحتضن زوجاتهم وأمهات أبنائهم الصغار الذين على وشك البلوغ إن لم يكونوا قد تجاوزوها، والاستيلاء على بيوتهم ومساكنهم.

هؤلاء الانتهازيون المغفلون ضحايا الغرام، والجري وراء بناء مجد شخصي في البلد البديل في أقصر طريق وأسرع وقت قتلوا جميعاً ووضعوا في مقابر جماعية، وعندما طالبت بهم حكومتهم أخرجوا من هذه القبور، ونقلوا في مشهد غريب ومهين إلى ذويهم في دولة برنس دون أية مطالبات أو احتجاجات، بل أسدلت دولتهم الستار على الحادث، وكأن الأمر لا يعنيها في شيء!!

شعر الرفيق منشار الأشول بحالة من الغليان في صفوف الجيش المهزوم العائد من الجبهة الشرقية، ضباطاً وجنوداً، فأحس بخطر داهم، استغله العم سام على الفور، وصاغه بفكرة جهنمية تكون فيها نهاية الرفيق الأبدية، خاصة بعد أن تجرأ ووجه صاروخين تجاه حبيبته العبرية المدللة، لإسكات ناقديه من

أبناء الوطن والعرب عامة، وتعويض ما خسره على جبهة البوابة الشرقية، وخسارته الحصول على لقب القائد العربي سعد بن أبي وقاص الذي فتح الإقليم الفارسي أمام الإسلام.

كانت الوصفة القاتلة التي أوصى بها العم سام للرفيق منشار الأشول، هي أن يتوجه بجيشه المنكسر في الحال تجاه جارته الخليجية دولة السلام لتعويض ما فات، فهذه الدولة ثرية ومرفهة، ولديها مخزون هائل من المال والغذاء، فينشغل الضباط والجنود بجمع ونهب كل ما يحتاجون إليه، فينسون لحظتئذ المصائب التي لحقت بهم في البوابة الشرقية للأمة العربية.

كانت نصيحة جهنمية نزلت على رأس الرفيق منشار الأشول من السماء، وأخذت طريقها إلى عقله وفكره وأطماعه، على الرغم من أن الجار خدم الرفيق برموش عينيه كما يقول المثل العربي طوال السنوات الثماني التي قضاها جيشه في أوحال بلاد فارس دون نتيجة.

لم يتردد الجار في أن يفتح له جميع منافذ بلاده وموانئه البرية والبحرية والجوية، لمرور أسلحته وبضائعه التموينية والغذائية وكل ما يتصل بآلته العسكرية وحركته البحرية، وقدم له مختلف الدعوم الحربية وغير الحربية المطلوبة لدعم ومساندة حملته العسكرية على المنفذ الشرقي لبلاده، الذي أطلق عليه (البوابة

t.me/yasmeenbook

الشرقية للأمة العربية)، كما فتح خزائنه لدعم متطلبات جيشه وحياة شعبه، كل هذه الأمور من مختلف الدعوم والمساندة والمساعدة العينية والمعنوية والسياسية، رماها الرفيق الأشول خلف ظهره لأنه رأي في مقترح العم سام القوة والحماية لبقاء نظامه واستمرار وجوده.

ومن أجل دفعه في هذا الاتجاه الذي فيه نهايته، وجوداً ونظاماً، سارع العم سام إلى إبلاغ الرفيق الأشول، أن بلاده لن تحتج على هجوم جيشه لحظة عبوره واجتياحه الحدود الدولية بين البلدين، وسوف يعتبر ذلك شأناً عربياً، وعلى جامعة العرب النظر فيه لخصوصيته، وهذا ما تلقاه الأشول أيضاً من سفيرة العم سام في بلاده قبل العبور والاجتياح بيومين، بأن دولة العم سام لا شأن لها بما سيقدم عليه تجاه جاره المرفه الذي يملك خزائن قارون، ويغرق الأسواق العالمية بالنفط الرخيص الثمن، بينما دولة أم الطبول لا تجد أسواقاً لتسويق نفطها، الأمر الذي يلحق ضرراً بالغاً بدخلها الوطني، وينعكس ذلك مباشرة على حالة المعيشة ومستوى الخدمات المقدمة للمواطنين.

بعد هذا الإعلان والموقف الرسمي لدولة العم سام، أصبح الرفيق منشار الأشول أمام مبرر وجيه لغزو جاره، مبرر كافٍ ومقبول أمام المجتمع الدولي التقطه بحماسة من إدارة العم

t.me/yasmeenbook

سام، مبرر يقول بأن الجار بات يضايقه في رزق وقوت شعبه، ويسرق النفط والغاز من حقوله النفطية بطرق فنية خبيثة، ومن حقه أن ينتقم ويضع الأمور في نصابها الصحيح، ويستعيد جميع ما تم سرقته، وهذا ما دفعه فجر يوم الخميس الثاني من أغسطس 1990م، اقتحام بيت الجار والاستيلاء على كل شيء، الأرض والمال والنفط والهواء والشمس الحارقة في ست ساعات لا أكثر.

هذا ما سنقف عليه في الجزء القادم من الرواية، وما سيترتب على هذا الغزو الجائر فيما بعد من مآسٍ وخـراب وجرائم بشرية وبيئية، وسوف نرى من سيتذوق في النهاية كأس العلقم والحنظل.. هل هو منشار الأشول؟ أم الجار المسالم الذي يتجنب جرائمه طوال التاريخ؟ سواء كان هو أو من سبقوه في تولي السلطة في أم الطبول!!

ياسمين
قصص
روايات
t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

5

عقبتان تحاصران العم سام للانفراد بالعالم

خرج العم سام من آسيا، وتحديداً من جنوبها الشرقي بخسائر بشرية ومادية هائلة، تجاوزت المليون من الشباب من الجنسين، تشهد عليها المقبرة (الوطنية) وسط عاصمة بلاده، مقبرة ضحايا الحروب العبثية للعم سام في جنوب شرقي آسيا، بجانب المليارات من العملات الصعبة التي ذهبت سدى دون نتيجة تذكر سوى الفشل والهروب، ورغم ذلك فإن كبرياءه لم يسمح له بالانصراف والانعزال والابتعاد عن موقع القطبية، وترك الساحة الدولية للقطب الأحمر، أو الابتعاد عن الشرق الأوسط وترك هذا الإقليم المهم الحساس بأعلى الدرجات للصبي راعي الماشية والأغنام منشار الأشول ليرمي ابنته العبرية المدللة في البحر الأسود، لتعود من حيث أتت، وتسببت بطرد شعب كامل من ديارهم عام 1948م، وتركهم إلى اليوم يعيشون في الشتات

والمخيمات الأممية، ويقتاتون على موائد وكالة غوث اللاجئين، بينما الغريب المعتدي يعيش في ديارهم منعماً، ويمارس القتل الجماعي ممن تبقى من أبناء هذا الوطن السليب، أبناء الداخل الفلسطيني المنكوب منذ حوالي خمسة وسبعين عاماً.

ومن أجل تحقيق القطبية الأوحدية في العالم، لم يكن أمام العم سام وسيلة سوى استخدام الخبث السياسي كعادته، لذلك جمع عصابته المفكرة ليدلوه على طريق يقود دولتهم إلى موقع عالمي أفضل مما كانت عليه في العقود الماضية التي شهدت حروباً ساخنة وأخرى باردة، موقع لا يزاحمه شريك في القطبية، وأن يكون هو فقط القطب الأوحد في دنيا البشر وعلى الكرة الأرضية، يأمر في الغرب فيطاع له منهم في الشرق بالسمع والطاعة.

كان هذا طلبه على وجه التحديد من عصابته التي تحمل عنواناً عريضاً (وكالة الأمن القومي)، بعيداً عن النطق بكلمة (مستحيل)، حتى ولو سقط الملايين من البشر ضحايا في بعض دول آسيا وأوروبا الشرقية والشرق الأوسط، فهو ثمن بسيط قابل للتعويض في نظره مقابل تحقيق مجد عظيم يتمثل في القطبية الواحدة.

بعد دراسة مستفيضة، وإمعان في التفكير، ومراجعة نتائج تجارب سابقة، اقترحت العصابة بزعامة مستشارة الأمن القومي،

t.me/yasmeenbook

القطة السمراء الجميلة الهزيلة، أن يباشر العم سام إعادة ترتيب الأوضاع الدولية من جديد، بدءاً من العنصر القومي الذي بات متآكلاً وخارج الزمن، وبانهياره سوف يسقط الضعيف تلقائياً دون عناء وجهد كبير، أي البدء بالقطب الأحمر، ثم بالمتشرد راعي الماشية والأغنام.

لم تكن المهمة سهلة وميسرة، أو نزهة سياحية للترفيه والتسلية، خاصة وأن المستشارة الجميلة كانت تحاول أن تبتعد عن سبل المواجهات الساخنة والباردة، والتركيز على المواجهات الناعمة، ذلك لأن أية مواجهة ساخنة مع القطب الأحمر يعني حرباً كونية، أي دمار الكرة الأرضية ومن عليها من بشر ومخلوقات وحياة، وأن إشعال حرب باردة طويلة الأمد ليس في مصلحة العم سام، وهذا ما كانت تتجنبه القطة السمراء، لذلك عمدت إلى تقسيم عصابتها.. أي فريق عملها إلى فريقين.

مجموعة تبحث عن عميل مطيع، وفي السياسة الخارجية لدولة العم سام، يفضل أن يكون هذا العميل قريباً من دوائر السلطة، سواء على مستوى السلطة التشريعية المتمثلة في الحزب، أو السلطة التنفيذية الحاكمة، حتى ولو كان هذا العميل مجرد مستشار مقرب وموضع ثقة تعتمد عليه السلطة الحاكمة، أما المجموعة الثانية، فقد أوكلت إليها العمل في إطار المنظومة

الأممية ووكالاتها المتخصصة المعنية بحقوق الإنسان، والسعي لإقامة علاقة صداقة وطيدة مع المندوب السامي لحقوق الإنسان، الذي سيصبح فيما بعد محور العمل والنشاط المشترك.

تعليمات وتوجيهات وإرشادات دقيقة وصارمة، أصدرتها المستشارة الجميلة لكلا الفريقين، كل من موقع عمله ومجال مهامه واختصاصه، على أن يكون هناك لقاء شهري لكلا الفريقين، وذلك للاطلاع على تقاريرهما، والحوار حول ما يرد في هذه التقارير من رؤى واقتراحات وتوصيات، ثم تزويدهما بأوامر وإرشادات جديدة، تمهيداً لجولة أخرى من الاتصالات والبحث والدراسة والاستفادة من مقترحات أصحاب الرأي والاختصاص، وخاصة من هم في مراكز حساسة في أي موقع يمكن أن يخدم المشروع الاستعماري الجديد.

انطلق الفريقان كل في اتجاهه المناسب والمحدد، حيث مهامه ومسؤولياته المختلفة، وقد تمكن الفريق الباحث عن عميل متعاون من التوصل بعد أشهر قليلة إلى قائمة تضم خمسين عميلاً من بلد القطب الأحمر، أبدوا جميعاً استعدادهم للتعاون من أجل تغيير النظام السياسي في بلدهم إلى نظام ديمقراطي كما الحال في دول أوروبا الغربية، ومن الممكن أن يكون العمل مناسباً مع أحدهم، لكن المستشارة الجميلة طلبت من الفريق إعادة دراسة

t.me/yasmeenbook

القائمة مع الاستعانة باختصاصيين في الاستشارات النفسية والعلاجية، وأنماط الشخصية، وتقديم قائمة أخرى مركَّزة بعدد قليل من الشخصيات المرنة القابلة للتعامل والتعاون معها في تغيير النظام السياسي في بلدهم مقابل مكسب مادي ومالي مجز وثمين للوصول إلى سدة الحكم، أو المشاركة فيه إذا ساعدت الظروف ويسرت أمر المحاولات الجارية لإسعاد الأشقاء في أوروبا الشرقية.

أما الفريق الثاني، فقد تمكن من إقامة علاقات ممتازة مع المندوب السامي التابع للأمين العام للمنظومة الأممية لشؤون حقوق الإنسان، وهو شخصية ليبرالية، يكره النظام البروليتاري والاقتصاد الموجه، والذي وعد الفريق بالتعاون معه في حدود الممكن حتى لا ينكشف أمره، وقد قدم له الفريق دراسة ميدانية سرية عابرة للحدود تتناول مآسي الإنسان ومعاناته في الحياة اليومية في الكتلة الشرقية من أوروبـا، حيث يعيش الإنسان الفاقد للحرية بجميع أشكالها، والفاقد لحق التعبير عن الرأي، والمتعطش لأبسط الحقوق الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والأحكام الواردة في اتفاقية جنيف الرابعة والمعنية بتوفير الحماية للمدنيين في حالة الحروب، وفي الظروف الصعبة والمؤلمة التي يعيشها البشر أحياناً كثيرة.

طلب الفريق من المندوب السامي الأممي التركيز على المبادئ والقضايا الإنسانية المنتهكة في كتلة دول أوروبا الشرقية، وتفعيل الوكالات المتخصصة واللجان المعنية بحقوق الإنسان لمواجهة هذا الوضع اللاإنساني الخطير، وذلك ضمن خطة وبرنامج زمني يترك وراءه سحابة قاتمة من الإدانات الخطيرة على مستوى الحكومات والوكالات الأممية المتخصصة والإعلام العالمي لهذه الكتلة على رأسها انتهاكات جائرة، وتجاوزات مكشوفة لأحكام المعايير الدولية لحقوق الإنسان والمصدقة عليها من قبل حكومات هذه الكتلة، مما تثير مشاعر وغضب الرأي العام العالمي، وقد وعد المندوب السامي الفريق خيراً في المستقبل القريب.

عاد الفريق الباحث عن عميل دنيء موثوق بدناءته يمكن أن يخون وطنه بقائمة أخرى تضم عشرة أشخاص فقط، يمكن أن يخونوا وطنهم بأي ثمن، مع توصيف دقيق، وتحديد واضح لأنماط سلوكياتهم وسمات شخصياتهم، ونسبة روح المغامرة والجرأة الكامنة في نفس وكيان كل واحد منهم، دون ترتيب الأفضل بينهم، وترك الأمر للمستشارة السمراء الجميلة لاختيار الأنسب والأفضل وفقاً لما تراه، كون هذا الأمر ليس بتلك السهولة واليسر، ولكونه يتسم بالدقة والحساسية الشديدة، خاصة

t.me/yasmeenbook

وأن النفس البشرية قابلة للتغيّر والتحول بين حين وآخر، وفقاً للمؤثرات الخارجية والعوامل المحيطة.

كانت المستشارة السمراء الجميلة مسرورة بهذا العمل الجبار والإنجاز الفريد في زمن قياسي على مستوى تكتل عظيم يضم في جنباته خمس عشرة دولة كبيرة ومؤثرة في السياسة الدولية، ويشكل فيما بينها اتحاداً إقليمياً جباراً يمثل قطباً عالمياً مناهضاً للقطب الرأسمالي الليبرالي، وكان هذا بلا شك جهداً استثنائياً في استخلاص عشر شخصيات نزقة من بين خمسين شخصية تريد أن تبيع ضميرها ووجدانها للشيطان، ليصبح أبرز عميل بين العشر يريد أن يسوق نفسه لخيانة وطنه وشعبه.

دفعت المستشارة الجميلة بقائمة العشر من الخونة للجنة من العلماء والمتخصصين بدراسة الشخصيات من حيث مكوناتهم النفسية والسيكولوجية، ومستويات ذكائهم وطموحاتهم الشخصية، ومدى رفضهم للنظام السياسي القائم في بلادهم، وقد تمكنت اللجنة بعد دراسة الحالات العشر، التي استغرقت قرابة ستة أشهر، بعد لقاءات انفرادية - رجل لرجل - وإعداد عشرة تقارير توضح شخصية كل عميل من العشرة بصورة دقيقة وواضحة.

انتهت اللجنة خلال شهر من الدراسة والفحص والتمحيص

إلى أن أقرب شخص وأكثرهم ذكاءً وحيوية ونشاطاً وكرهاً ورفضاً للنظام القائم في بلده، هو المدعو (غوربا)، التي تعني بالفارسية القط البري المتوحش، وأن العلامة البارزة على جبهته ومفرق رأسه كالنهر من الدم الجاري، تؤكد بأن الطريق إلى النظام الرأسمالي الليبرالي سالك وممهد، وقد طلبت اللجنة من المستشارة الجميلة ضرورة العمل على تهيئة هذا المخلوق وإعداده للمهمة الصعبة، بعد وضعه في صورة زعيم ثوري يستحق أن يكون قائداً وحاكماً للبلاد.

خضع العميل (غوربا) بفرح ورحابة صدر لمجموعة من السياسيين والاستراتيجيين من بلاد العم سام ومن دول غربية، لإعداده زعيماً وقائداً لقيادة ثورة انقلابية، وصياغة مرحلة جديدة تتمتع بالنظام الرأسمالي الليبرالي في تاريخ دول أوروبا الشرقية بعد رحيل النظام الأحمر، وقد استغرقت مرحلة الإعداد أكثر من سنتين، تمكن خلالها (غوربا)، القط المتوحش من تشكيل مجاميع من الحلفاء والأعوان والمؤيدين على مستوى الأقطار الخمسة عشر، وهي كما ذكرنا سابقاً مجموعة دول أوروبا الشرقية، وقد انحصر مهام وأدوار هذه المجاميع في تهيئة الجماهير للمشاركة في التحول التاريخي!! ستشهدها المجتمعات البروليتارية عن قريب.

t.me/yasmeenbook

أما الفريق العامل مع المندوب السامي لحقوق الإنسان، فقد تمكن هو الآخر من تسخير المنظمات والهيئات واللجان الخاصة بحقوق الإنسان، لتكون في خدمة المندوب السامي، وخدمة مدراء الهيئات الدولية التابعة للمنظومة الأممية، من أجل السعي جماعياً بكل الوسائل المتاحة لتشويه صورة المنظومة الاشتراكية في العالم، وبخاصة في دول أوروبا الشرقية، باعتبارها العدو اللدود للحريات والنظام الديمقراطي والمشاركة الشعبية الحكومية في إدارة شؤون البلاد.

هذا المخطط التخريبي الموجه والمقنن، أصبح معول هدم ينخر جسد الدول المنضوية تحت مظلة النظام الاشتراكي، فضلاً عن سلسلة الإدانات التي بدأت تصدر عن هذه الهيئات واللجان الدولية التابعة للمنظومة الأممية، وهي تدين دولة تلو الأخرى حتى نضجت الثورة في نفوس المواطنين الذين يتطلعون بإعجاب كبير إلى النظام الرأسمالي الليبرالي، والحياة المرفهة التي يعيشها المواطنون الغربيون في ظل هذا النظام، والحريات التي يمارسونها فكرياً وعقائدياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.

التحم الفريق الذي يقوده (غوربا)، وأصبح صفاً واحداً، عقلاً وفكراً وكياناً وتوجهاً، بعد أن تم إعداده وتهيئته من قبل جهاز الأمن القومي في بلاد العم سام لهذا الغرض تحديداً، وحدد له ساعة

t.me/yasmeenbook

الصفر التي اعتلى فيها (غوربا) منصة العمالة في ساحة ضاقت بالبشر، البعض يهتفون بحياته، ويطالبونه الشروع فوراً في الإعداد لبناء عهد جديد لا تقل فيه الحرية والرفاهية عن الحياة التي يعيشها مواطنو دولة العم سام، وآخرون يحذرونه من مغبة المضي في هذا الطريق الذي يموت فيه الفقير والمشرد تحت الجسور والخرائب ومكبات الزبالة، ويؤلَّه فيه الثري وصاحب الجاه والمال ويدفن في قصر عظيم.

في تلك الساعات الحرجة تمزقت المنظومة الاشتراكية الأوروبية الشرقية، وأصبحت دولاً وكيانات مستقلة بعيدة عن الارتباطات السابقة، سعى بعضها إلى الالتحاق بتنظيمات ومنظمات أوروبية غربية، أو الارتباط بتكتلات رأسمالية، والبعض الآخر تاه في دروب الضياع، مثلما ضاع زعيم الثورة المصطنع (غوربا)، الذي صنعه ورتبه العم سام من خلال وكالته للأمن القومي، لفترة حكم انتقالية دامت ست سنوات غير مستقرة، حكم لم يأت بأية تغيرات أساسية نحو الأفضل والأحسن، إن لم يكن إلى الأسوأ، حيث بقي الفرد في الدول الخمس عشرة يراوح في مكانه، بل أضيف إلى مشاكله السابقة مصائب ومصاعب لا يستطيع حلها أو مواجهتها، كالتعليم والعلاج المجاني، وضمان العمل والسكن والمواد الغذائية الأساسية المدعومة، جميع هذه المميزات طارت مع مجيء (غوربا)، الأمر الذي خلق شعوراً

t.me/yasmeenbook

جمعياً في هذه المجتمعات بأنهم خدعوا، فقد رحل الماضي بجميع مكوناته وعقائده وسياساته، دون تقديم بديل يستحق الإشادة به سوى الانتظار والمراقبة، بعد أن خسرت المجموعة المكانة الدولية والقطبية والندية المنافسة.

فاز العم سام، وتحقق له ما أراد في أوروبا الشرقية بفضل جهود مستشارة الأمن القومي، القطة السمراء الهزيلة، وأصبح القطب الأوحد في العالم الذي لا ينافس، يُسير دول العالم كبيرها وصغيرها كيفما يشاء.

لقد كان حلماً فأصبح خاطراً فاحتمالاً ثم أضحى حقيقة لا خيالاً، لكن الشعوب الحية المتمسكة بمبادئها وكرامتها ستعمل ما بوسعها لتجعل هذه الحقيقة مجرد خيال عابر تم حصاده ارتجالاً.

هذا النفوذ العالمي للعم سام الذي جناه وناله على طبق من ذهب لم يقف عند حدود الدول في القارات الخمس، بل انسحب على المنظومة الأممية، عندما تمكن دفعها بإزالة آثار عدوانه وعدوانها بالسرعة الممكنة، فأعفت المندوب السامي من منصبه، وحلت لجان حقوق الإنسان التابعة لها، ليحل مكانها مجلس لحقوق الإنسان، جميع هذه التغيرات الجذرية السريعة في هيكلية المنظومة الأممية، كان الهدف منها محو آثار المشاركة التي تواطأ فيها العم سام مع المنظومة الأممية.

بزوال المنظومة الاشتراكية كتجمع دولي وقطب عالمي منافس، انفرد العم سام بإدارة شؤون العالم كقطب أوحد، ولم يعد له أي منافس على الكرة الأرضية يمكن أن يزاحمه فيما يريد الوصول إليه، أو ربما يصبح عائقاً كبيراً أمامه عند محاولة احتوائه المنطقة، إضافة إلى تهديده المباشر لابنته العبرية المدللة بإلقائها في البحر الأسود من حيث أتت.

لكن ما أن انتهى العم سام من مشواره الإجرامي في أوروبا الشرقية واستتب له الأمن والأمان والتبعية كقطب أوحد، حتى بدأ مشواره الإجرامي التالي في الشرق الأوسط، ساعياً لاحتوائها لعدة عوامل على رأسها مخزون الخيرات الاستراتيجية التي لا تعد ولا تحصى، وفي مقدمتها الطاقة عنصر الحياة في العالم الجديد، إضافة إلى شبكة طرق المواصلات والاتصالات بين الشرق والغرب.

لكن هذا كله عند العم سام في سلة واحدة، وحماية الابنة العبرية المدللة في سلة أخرى، لكونها أهم وأفضل من جميع السلال المليئة بخيرات الدنيا، ورغم ذلك هو يعلم جيداً أن الأوضاع هنا مختلفة عن أوضاع الساحة السابقة في القطب الجليدي الأحمر، ساحة تحتاج إلى مواجهة مباشرة للقضاء على كمية السلاح الفتاك الذي يملكه هذا الصبي راعي الماشية

t.me/yasmeenbook

والأغنام، والتي حصل عليها من الرفيق الأحمر الذي تم إسقاطه من النظام السياسي العالمي، وهو أمر يتطلب إنهاكه والقضاء على أسلحته خطوة خطوة حتى يسقط تلقائياً كأي جريح أو مصاب في معركة تحد أكبر من حجمه وقدراته وإمكانياته.

كان منشار بن بتار الأشول قد تسلح بسلاح القطب الجليدي الأحمر قبل انهياره بمطرقة العم سام، وأصبح يمتلك الكثير من أسلحته المتنوعة والمتقدمة والحديثة، التي لا تمتلك منها الدول العربية مجتمعة إلا ما ندر، وهذا ما جعل جرعة الشيطنة تتفاعل بقوة في كيانه، وتسير في دمه وجسده وعقله دون انضباط أو سلاسة، وأن إطلاقه أول صاروخين على المستوطنات الصهيونية الحدودية في فلسطين المحتلة كان إشارة واضحة للعم سام، بأن هذا الصبي راعي الأغنام والماشية قد خرج عن طوعه، وأنه يحاول بكل ما أوتي من وسائل احتواء العالم العربي، ومن ثم منطقة الشرق الأوسط برمتها كقوة ضاربة في المنطقة.

هذه المحاولة خط أحمر في عرف وسياسة العم سام في الشرق الأوسط، لن يسمح لأي كان بتجاوزها، وسينال مرتكبها عقاباً شديداً لم يكن في الحسبان، لكن ما العمل؟ وكيف التخلص من الصبي الذي يدير شؤون البلاد والعباد في دولة أم الطبول بعقلية القطيع، فقد خلق من نفسه زعيماً سياسياً وهو لم

يتعلم فن السياسة في أية كلية جامعية، ولم يمارس السياسة على أصولها وفنونها المتعارف عليها، مثلما أصبح عسكرياً برتبة رفيعة المستوى وهو لم يخض معركة عسكرية واحدة في حياته، اللهم المشاركة في الانقلابات العسكرية كصبي مندوب ومساعد يخدم الانقلابيين وقت الحاجة.

لجأ العم سام كعادته مرة أخرى إلى مستشارة الأمن القومي السمراء الهزيلة، وطلب منها إعداد خطة واستراتيجية محكمة للتخلص من هذا الصبي المغرور الذي صنعته مخابرات بلادنا وأطلقته في الشرق الأوسط، وعندما اخضر عوده وعلا شأنه وازدادت قوته تمرد علينا ولا بد من معاقبته، أرادها العم سام خطة سرية محكمة لا يشعر بها الصبي إلا ساعة وقوعه في المصيدة ليكون عبرة ودرساً لكل حاكم مغرور في المنطقة، وشعاراً دائماً يحمل عبارة (السمع والطاعة) لدولة العم سام.

لم تتأخر المستشارة السمراء كثيراً كعادتها، فقد عادت للعم سام بعد أسبوعين بخطة واستراتيجية تتكون من شقين، أولها دفع الصبي المتهور الدخول في حرب طويلة الأمد مع جارته الفارسية التي يكرهها ولا يطيق رؤيتها على حدوده الشرقية، ويطلق على شعبها صفة (المجوس)، وبعد جولات من المعارك الطاحنة والصرف المالي، والتي لا بد وأن تأخذ سنوات كي تنهك

t.me/yasmeenbook

قدراته العسكرية والمالية والمعنوية، والخروج من الحرب منهزماً ومنكسراً.

في هذه اللحظة يجب العمل على تشجيع الصبي المتهور على الإقدام على خطوة تعوض ما سبق من خسارة، وهو دفعه لاحتلال دولة السلام الجارة العربية، وبعد تحريرها من قبل تحالف دولي برئاستنا وبرعاية المنظومة الأممية وفق المادة السابعة من ميثاقها، تصدر الأوامر لقواتنا بجميع وحداتها ومختلف قطاعاتها، وبدعم من تحالف دولي أيضاً الزحف على دولة أم الطبول واحتلالها في حرب خاطفة وبأسرع وقت ممكن.

هذه الخطة والاستراتيجية العسكرية كانت الطريق المناسب الذي لم يجد أي معارض أو رافض للحملة العسكرية لتحرير أم الطبول، خاصة إذا ما أضيفت إليها الاعتداءات والجرائم التي ارتكبها الصبي الأشول في شمال البلاد، والإبادة الجماعية العرقية التي مارسها هناك ضد شعبه، جميع هذه الممارسات والأفعال اللاإنسانية الشنيعة تجعل الرأي العام المحلي والدولي مؤيداً لحملتنا العسكرية على هذه الدولة المارقة.

خطة واستراتيجية خبيثة مناسبة تماماً لفكر وعقلية الصبي المغرور مررها العم سام لسفيرته في أم الطبول لتقوم بدورها بتشجيع الرفيق منشار الأشول رأس الدولة بغزو الدولة الفارسية

المحطمة بعد نظام حكم أسرة آل بهلوي التي حكمت دولة فارس أكثر من نصف قرن من الزمان، كان آخر ملوكها الشاه محمد رضا بهلوي، الذي أسقطته الثورة الشعبية بقيادة روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني رجل دين شيعي وفيلسوف وكاتب سياسي.. أسقطته وكان رجل شرطي المنطقة لمصلحة العم سام، ليعيش مشرداً مع أفراد أسرته، ويموت ويدفن في دولة برنس، بعد أن عجزت أسرته عن إيجاد مكان لدفنه، فقبله الرئيس المؤمن وأكرم بدفنه في أحد مساجد الدولة.

برحيل أسرة آل بهلوي شرطي المشرق العربي تفكك أركان الجيش الفارسي المعروف عنه بأنه أقوى وأضخم جيش في الشرق الأوسط، عدداً وعدة وسلاحاً متطوراً، هؤلاء جميعاً اختفوا في لمح البصر، أو هربوا خارج البلد، وخاصة القادة أصحاب الرتب العليا في الجيش، مستغلين حالة الفوضى التي عمت البلاد أثناء الثورة والغليان الشعبي الذي شارك فيه الشعب بأكمله.

بعبارة ثانية، أصبحت دولة الفرس بلا جيش نظامي، ولا قوة عسكرية ولا دعم خارجي، اللهم الاعتماد على الدفاع المدني والمؤمنين بالثورة من أفراد الجيش المنحل، هذه الصورة المغرية نقلتها السفيرة جلاسبي إلى الرفيق منشار الأشول الذي سال لعابه مع كل كلمة وحرف وجملة أطلقتها السفيرة، التي وعدته خلالها

t.me/yasmeenbook

بأن دولة العم سام على استعداد لدعمه ومساندته متى وجد نفسه أنه في حاجة إلى الدعم.

لم يتأخر الرفيق الأشول كثيراً، فخلال ثلاثة أشهر شكل قوة عسكرية هجومية ضاربة تحت قيادته، بعد أن تسلم رتبة الجنرال في حفل عسكري مهيب، آمراً الوحدات والقطاعات المختلفة التي تسلحت بمختلف الأسلحة أن تجتاز الحدود الدولية الفاصلة بين البلدين، عند ساعة الصفر التي ستعلن لحظتها، فكان له ما أراد، حيث اجتاز الجيش الحدود بسهولة ويسر دون مقاومة، وشق طريقه في الأراضي الفارسية بسلاسة، وكأنه في نزهة أو عرض عسكري ترفيهي، يحتل المدن والقرى الحدودية الواحدة تلو الأخرى، متجهاً نحو العاصمة.

يقول شاهد عيان: «على الرغم من أن المقاومة على الجانب الفارسي كانت ضعيفة وشبه مفقودة، إلا أن قوات الجنرال منشار الأشول كانت تحمل روحاً عدائية غير مبررة، تمثلت في تدمير كل شيء تصادفه في طريقها بما فيها أشجار النخيل الممتدة على امتداد البصر، والتي أصبحت خلال أيام مجرد أعمدة محروقة، حتى بيوت البسطاء من الفلاحين والكادحين في شركة النفط والحقول الزراعية والخدمات العامة والمحلات التجارية الصغيرة، هؤلاء جميعاً لم يعد لهم وجود وتساوت بيوتهم ومحل

t.me/yasmeenbook

إقامتهم مع الأرض، الكل يهرب ويختبئ، على الرغم من أنهم جميعاً عرب أقحاح وليسوا فرساً، ومع ذلك لم يسلموا من الآلة العسكرية العربية التي اجتاحت مناطق سكنهم.

كان هؤلاء العرب سكان المنطقة يناشدون القيادية العسكرية المعتدية باللهجة والكلمات العربية المحلية نفسها في أم الطبول التي ينطقها كل واحد من أفراد الجيش، ورغم ذلك لم تشفع لهم الآلة العسكرية التي دفعها الجنرال الأشول إلى مناطقهم، حتى النساء والفتيات اللواتي في عمر الزهور لم يجدن مهرباً من هذا البلاء سوى رمي أنفسهن في نهر قارون والبرك العميقة وهن لا يجدن السباحة، خوفاً من الاغتصاب، ورغم ذلك لم يسلم بعضهن من الهروب».

زحف الجيش واحتل المدن والقرى والبلدات ومناطق النفط حتى وصل إلى مشارف العاصمة الفارسية، لكنه لم يتجرأ على اقتحامها وظل متمركزاً دون أن يتقدم خطوة إلى الأمام داخل حدود العاصمة، خوفاً من أية انتكاسة تدمر سمعة الجيش الذي لا يقهر، مما خلق حالة من التذمر بين صفوفه الذي وصل عدد أفراده إلى قرابة المليون عسكري، وبدأوا يطالبون قيادتهم بالعودة إلى الديار أو اجتياح العاصمة واحتلالها!!

تدخلت السفيرة جلاسبي مرة ثانية، وحذرت منشار الأشول

t.me/yasmeenbook

الذي وضع على كتفه شارة الجنرال منذ أن عزم الأمر على تأديب المجوس، ووطئت أقدام جنوده أراضيهم بأن لا يغامر في دخول العاصمة، والدولة الفارسية تملك أسلحة دمار شامل استولت عليها من العهد السابق، واحتفظت بها بسرية تامة حتى ساعة الحاجة والضرورة، وأن جيشاً من المرتزقة ذوي الخبرة والتجربة بحرب العصابات انضمت إلى صفوف القوات الفارسية، وأن أي هجوم لاحتلال العاصمة سيكون خطوة عسكرية انتحارية، وسوف يكون نهاية الجيش المنهك منذ ثمانية أشهر، واقترحت عليه الانسحاب بشرف وكبرياء، بدلاً من هزيمة نكراء وانكسار ذي دوي عالمي.

أتت الأوامر من القائد الأعلى الجنرال منشار الأشول لقادة الجيش بالانسحاب من دولة المجوس، بعد معاناة دامت ثمانية أشهر دون نتيجة، اللهم قتل النفس البريئة، والخراب والدمار الذي لحق بالبيئة والطبيعة، وبالمدن والبلدات والقرى، وخسائر مالية جسيمة تسببت في إفراغ خزينة الدولة، وجعلت الجنرال منشار يهرول إلى قادة دول الخليج العربية، مطالباً إياهم بمده بالمال من أجل الصمود في الدفاع عن البوابة الشرقية للأمة العربية.

عاد الجيش الذي لا يقهر منهزماً ومنكسراً، بدلاً من الانتصار الذي كان يتوقعه الجنرال، ومع عودته الفاشلة انتهى الفصل الأول من خطة مستشارة الأمن القومي السمراء الجميلة، ليبدأ بعدها

ترجمة الفصل الثاني من الخطة، عندما طلبت السفيرة جلاسبي موعداً عاجلاً مع الرئيس الجنرال منشار الأشول، وكان لها ما أرادت على الفور.

في هذا اللقاء الذي استمر أكثر من ثلاث ساعات حذرت السفيرة الجنرال منشار من السماح للجيش بدخول العاصمة، خوفاً من القيام بانقلاب عسكري خاطف لن نعرف مداه الشعبي، نتيجة للمعاناة والغضب والتذمر الذي عاشه الجيش وقياداته في الأراضي الفارسية، وخرج منها فاشلاً منهزماً، واكب هذه الهزيمة انهيار بيوتات عدد كبير من الجنود العاملين في الجبهة، نتيجة زواج زوجاتهم من غرباء، وتحديداً من دولة برنس، فكيف سيكون حال هذا الجندي المسلح وهو يدخل بيته فاشلاً ومنهزماً بعد غياب ثمانية أشهر ليجد زوجته في أحضان رجل غريب استولى عليها وعلى البيت بما فيه، مثلما هو طوال ثمانية أشهر لم يتمكن من الاحتفاظ بشبر من الأرض التي احتلها في بلاد الفرس.

نصحت السفيرة الجنرال منشار بتوجيه جيشه القادم من الجبهة الفارسية وتحويله إلى دولة السلام واحتلالها، على أمل تعويض الجيش عن خسارته في تلك الجبهة، ذلك لأن انشغاله بجمع الخيرات والغنائم من مختلف الأصناف الأوروبية الغربية الحديثة، ومعايشته لفترة لحالة النعيم والرفاه والاسترخاء، سيجعله

t.me/yasmeenbook

يعود إلى شيء من الهدوء والراحة النفسية المعتادة، وأن دولة العم سام لن تتدخل من قريب أو بعيد في هذه المسألة السياسية والتاريخية باعتبارها شأناً عربياً يمكن لجامعة العرب أن تفصل فيه، كبقية الأزمات العربية التي لم تحل وبقيت معلقة إلى اليوم.

استحسن الجنرال منشار الأشول فكرة السفيرة بتوجيه الجيش القادم من البوابة الشرقية تجاه دولة السلام التي استغلت ظروف انشغاله بالحرب وعمدت إلى سرقة نفط بلاده بطرق فنية، وإغراق السوق العالمي بالنفط المسروق بأسعار متدنية، مما ألحق خسارة فادحة بخزينة دولة أم الطبول، أكثر من تلك الخسائر التي لحقت بها جراء حربها في الدفاع عن البوابة الشرقية للأمة العربية.

أمر الجنرال الأشول قائد القوات القادمة من الشرق التوجه إلى الغرب، إلى دولة السلام واحتلالها بعد أن تلقى الضوء الأخضر من العم سام، وقد قام الجيش بهذه المهمة على الفور وتمكن من الاستيلاء على دولة السلام خلال ست ساعات، فانتشر الجنود كالجراد على امتداد أراضي الدولة، ونزلوا فيها نهباً وقتلاً، مما جعل المواطنين يفرون إلى دول الجوار، وقد سبقتهم القيادة السياسية إلى بلاد الحرمين، وأقامت حكومة مؤقتة هناك.

استمر الاحتلال سبعة أشهر، كان كل يوم وساعة مشحونة بالرعب والدمار ونهب الأموال العامة والخاصة، وقبل أن يهرب

الجيش المحتل إلى موطنه أحرق أكثر من سبعمئة بئر من النفط، فلوث البيئة الإنسانية على امتداد دول آسيوية وأفريقية وشرق أوسطية، وجعل نهار دولة السلام ليلاً حالك السواد، فتنادت المنظمات والمؤسسات الدولية المعنية بحماية البيئة في فزعة أممية لمشاركة مواطني دولة السلام في إطفاء الآبار المشتعلة، التي استغرقت حوالي مئتين وخمسين يوماً، وهذا ما دفع التحالف الدولي الذي شكلته المنظومة الأممية من اثنتين وثلاثين دولة أن تبدأ الهجوم فوراً على قوات الاحتلال التي سارعت بدورها في الهروب كأي لص جبان، تاركة وراءها أسلحتها والآبار النفطية التي أشعلتها، كما تركت وراءها آلاف القتلى والجرحى من جنود وضباط بلا دعم ولا معين.

هكذا أصبح الجنرال منشار الأشول أمام كارثتين، خطط لهما العم سام وحقق فيهما نجاحاً غير متوقع بسبب غباوة وغرور الجنرال، نجاحاً حدد له ساعة الصفر للانطلاق نحو عاصمة أم الطبول لاحتلالها وإلقاء القبض على الجنرال الأشول ومحاكمته، والقضاء على نظامه السياسي والحزبي، بعد أن شكل لهذا الغرض تحالفاً دولياً من اثنتين وعشرين دولة خارج المنظومة الأممية، واستولى على العاصمة خلال أيام معدودة، وقد لاحظ العم سام خلال سير العمليات العسكرية وباندهاش بالغ وعجيب، انضمام

t.me/yasmeenbook

غالبية الشعب إلى صفوف جيوش التحالف الدولي والمساعدة في اقتلاع جذور النظام.

سقطت أم الطبول بيد العم سام الذي أتى بحاكم عسكري تحت غطاء مدني، أطلق عليه المواطنون (أبو القيمر)، بدلاً من اسمه الحقيقي (بول بريمر)، الذي سعى بكل قوة لتخريب كيان الدولة، وجعلها تفقد أهليتها خلال أشهر، الأمر الذي دفع المنظومة الأممية إلى أن تسارع بإيعاز من العم سام للحلول محل الدولة في إدارة شؤونها وفي جميع أمورها الحياتية، والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وقد ساهم (أبو القيمر) في الإسراع في هدم مقومات الدولة وهياكلها التنظيمية عندما فتح أبواب المؤسسات الحكومية والأهلية للنهب وتفريغها من محتوياتها، مثلما سارع إلى إقامة سجون خاصة لتربية أتباع الجنرال منشار الأشول وقياداته الحزبية والعسكرية والعمل على تخريج دفعات متتالية من قوات الإسلام السياسي، ليعيثوا فساداً ونهباً وقتلاً في دول العالم العربي، تمهيداً لخلق أجواء من الفوضى العارمة في الشرق الأوسط، تحقيقاً لمشروع العم سام الذي حمل عنوان (الفوضى الخلاقة)، والذي أنجب مشروع الربيع العربي الذي كان خريفاً فدمر العالم العربي بقيادة السمراء الجميلة الهزيلة.

هكذا تمكن العم سام من ترتيب الأوضاع السياسية في الشرق الأوسط كما يحلو له، خاصة بعد أن ألقى القبض على الجنرال منشار الأشول، وصعد به إلى منصة الإعدام فجر يوم عيد الأضحى المبارك عند المسلمين، وهو اليوم نفسه الذي احتفل به العم سام بأنه أصبح الزعيم والقطب الأوحد في العالم، وأصبحت ابنته العبرية المدللة في أمن وأمان، وأصبح الطريق أمامها مفتوحاً وسالكاً لتحقيق ما ورد في التوراة كتابها المقدس الذي يطالب بني صهيون بأن يعملوا يداً واحدة على استرجاع أراضيهم الممتدة من البحر إلى النهر إن لم يكن أبعد من ذلك، وعليهم تحريرها من المغتصبين العرب بأي ثمن.

وقبل أن ننهي هذا الجزء من الرواية، نود أن ننوِّه بأنه نظراً لكون دولة السلام تتمتع بوضع خاص، وأنها وقفت بجانب الجنرال منشار بن بتار الأشول في معظم المصائب التي ارتكبها، وساعدته ودعمته مالياً ومعنوياً، فكان جزاؤها في نهاية المطاف الاحتلال وتشريد الشعب، وتخريب البنية التحتية، لذلك سنفرد جزءاً خاصاً للحديث عن احتلال هذه الدولة المسالمة من قِبل الصديق والشقيق، وما ترتب على هذا الاحتلال من ارتداد مدمر للذات والوطن، ويكون ذلك عبرة للطغاة والطامعين ومرتكبي الجرائم بحق الشعوب، وخاصة بحق أشقائهم وبني جلدتهم.

t.me/yasmeenbook

6

غزو الجار يرتد إلى الدار

اعتاد العم سام في استراتيجيته الاستعمارية الجديدة، السياسية والعسكرية، إشعال الأزمات والصراعات ونشر حالة من الفوضى العارمة، وكذلك افتعال الحروب مهما كانت صغيرة في بداياتها، لكن سرعان ما تتسع دائرتها، طالما هناك من يغذيها بالمال ويرعاها بالفكر الشيطاني الخبيث، وهي سياسة واستراتيجية اعتمدها العم سام طوال مسيرة امبراطوريته منذ استقلالها الوطني عام 1776م، أي منذ القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر.

سياسة واستراتيجية عنوانها وشعارها: (اضرب، اهرب، وراقب من بعيد)، فإن نجحت الفكرة الشيطانية، عليك أن تتقدم على وجه السرعة الصفوف الأمامية، وإذا فشلت دع عنك الفكرة واهرب إلى الخلف، وكأنك لست راعيها أو من المطالبين بها، سياسة واستراتيجية انتهازية بامتياز، رضع مفكروها من ثدي

الضباع، ومارسوها في الحروب الكبيرة والصغيرة التي شهدها العالم، وكانت نتائجها الانتهازية رائعة تناسب فكرهم، وتتناغم مع سلوكهم السياسي.

يحكي لنا التاريخ الكثير عن هذه السياسة والاستراتيجية الوصولية الانتهازية القائمة على مبدأ تحقير دول العالم وشعوبها، وخاصة دول العالم الثالث، ومن الملاحظ أن العم سام كمستعمر جديد يمارس هذه السياسة الانتهازية منذ زمن بعيد تحت غطاء الأحلاف والتكتلات، والدعم والعون والمساعدة التي يقدمها للدول المحتاجة، وهي في حقيقة الأمر خطوة نحو فرض السيطرة والوصاية والارتباط بعجلة سياسته واستراتيجيته الخبيثة التي تتضح معالم صورها في أكثر من دولة من دول الشرق الأوسط، ودول جنوب شرقي آسيا، ومناطق أخرى في العالم، والدليل عندما سارع في الانسحاب من مواقعه، مخلفاً وراءه ضحايا أبرياء كثراً من أبناء تلك المناطق، دون أن يعير أي اهتمام لهذا الجانب الإنساني، رغم الخسائر التي لحقت به، والسمعة السيئة والذكريات المنبوذة والمرفوضة التي لا تزال شعوب تلك المناطق تتذكرها بكل أسف واحتقار.

فالتاريخ يشهد كيف اختفى العم سام من مسرح المعارك التي كانت تدور أثناء الحرب العالمية الأولى 1914-1918م،

t.me/yasmeenbook

وما إن وضعت الحرب أوزارها، وكسب الحلفاء الحرب حتى تقدم الصفوف ليأخذ نصيبه من الغنائم، وفي مقدمتها الحصول على مناطق نفوذ استعمارية جديدة، كما عايش ذلك سكان منطقة الشرق الأوسط عند تقسيم الدول العربية كمناطق نفوذ بين الحلفاء الذين شاركوا في الحرب.

ويتكرر المشهد ثانية في الحرب العالمية الثانية 1938-1945م، عندما اختفى العم سام للمرة الثانية من ساحة الحرب والمعارك الدائرة، ثم ظهر فجأة قبيل نهاية الحرب، وكأنه من أبرز المشاركين في صنع الانتصار للحلفاء، ليخرج بعدها بنصيب الأسد من المكاسب ومناطق نفوذ في الشرق الأوسط، وهو لايزال إلى اليوم يمارس هذا الدور الاستعماري الجديد في أكثر من دولة عربية إن لم يكن جميعها بشكل أو آخر.

سياسة واستراتيجية لا تعرف الهدوء، ولا تكل ولا تمل في إثارة النزاعات القبلية والطائفية والمذهبية والعرقية، مما يجعل الدول العربية في دوامة من الصراعات المستمرة، وافتعال أشكال من الأزمات من خلال مشاريع ظاهرها الخير والسعادة والرفاه، وباطنها تكريس الاستعمار الجديد على أرض الوطن، وتشكيل الأحلاف والتكتلات العملية، وتمزيق الصف والوحدة الوطنية، ومحاربة أية دعوة للتضامن والعمل المشترك، كل ذلك من أجل

نشر الفوضى والتخريب والهدم في الكيان العربي، دون أن يظهر في العلن كمستعمر جديد كحال المستعمر القديم الذي كان واضحاً في سلوكه وممارساته الاستعمارية.

هذه السياسة النزقة الشيطانية تمكنت من احتواء الجنرال العابث منشار بن بتار الأشول، بالإغراءات الكاذبة المدمرة كغيره من بعض زعماء العرب، ونفخت فيه قدر ما تستطيع كي يصبح أقوى زعيم عربي، يهابه الزعماء العرب كافة في أي لقاء يجمعهم، وهي السياسة نفسها التي قادت منشار فيما بعد إلى مستنقع بلاد فارس ليعود منها مهزوماً عسكرياً ونفسياً وشعبياً، ومفلساً مالياً، ومنكسراً معنوياً.

لم يكتفِ العم سام بهذا القدر من إغراق الجنرال الأشول في الوحل السياسي والعسكري الفارسي، فزين وسهل له قنوات اجتياح جارته العربية الشقيقة الصديقة دولة السلام، فهل كانت هذه مكافأة وتعويضاً عن خسارته في بلاد الفرس؟ أم إغراءات كاذبة جرته كالحيوان الأليف الأجرب لحرقه في محرقة أم الطبول؟

يقول ناجي الوسيم: «كنت حينذاك عضواً بمجلس إدارة المنظمة العربية للعمل والعمال عندما دعاني زميلي العضو مندوب دولة أم الطبول في المجلس لوجبة غداء في أحد مطاعم

t.me/yasmeenbook

السمك الشعبية في الهواء الطلق على شط نهر الهوى في منطقة الفكاهي العربي الشهير العباسي الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس صاحب القصائد الشعرية الماجنة، من بينها هذه الأبيات:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها
لو مسها حجر مسته سراء

لكنه طلب من رب العالمين قبل وفاته أن يغفر له ذنوبه في أبيات شعرية يقول فيها:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة
فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن
فمن الذي يدعو ويرجو المجرم».

ويمضي ناجي الوسيم في تعليقه على الحدث قائلاً: «صاحب الدعوة الزميل علوان المفتون لم يكن شخصاً عادياً في المجلس العمالي، بل كان عضواً خطيراً في المجلس، وعضواً بارزاً في حزب الانبعاث العربي على المستوى القطري والقومي، وقبل هذا وذاك هو العين الساهرة للنظام في مجلس الإدارة، وفي أثناء

تناولنا الوجبة بشهية عالية، خاصة وأن الطباخ يقوم بشواء السمك أمامنا في مشهد جميل يصاحبه أغانٍ شعبية ريفية مثيرة للسعادة والشجون يقوم بأدائها الطباخ ومساعدوه».

وفي السياق نفسه يقول ناجي: «في هذا الجو الجميل رمى المضيف الزميل علوان قنبلة يبدو أنه لم يحن وقت انفجارها بعد، لكن حديثه عنها كان ينم عن شر مبيت لبلدي، مما جعلني أرفع يدي عن تناول الطعام، وأكتفي بما تناولته، والطباخ لا يزال يقوم بالمزيد من الشواء، والاستمرار في الغناء الذي بدأ يصل إلى مسامعي نغماً حزيناً وكئيباً».

يقول ناجي وهو في حالة اندهاش شديد لما يسمع من الزميل صاحب الدعوة: «تمالكت نفسي ومشاعري الوطنية وحبي لبلدي لأسمع تفاصيل المصيبة التي يريد الزميل علوان أن يبلغني بها لعلها تكون مفيدة، على الرغم من أن حديثه لم يكن مباشراً عن بلدي، وإنما كلماته وعباراته الغامضة كانت تعبر عن ذلك، فقد كان يشير إلى أن إحدى دول الجوار، وهي تعلم تمام العلم بما قدمته أم الطبول من تضحيات لحماية البوابة الشرقية للأمة العربية، وكيف حمت الأمة من كيد الطامعين المجوس، هذه الدولة بدلاً من أن تقدم لنا شيئاً من الدعم المالي والمعنوي والعسكري، أخذت تسرق نفطنا من منابعها مباشرة وتعرضها في

t.me/yasmeenbook

الأسواق العالمية بأقل الأسعار المقررة من قبل المنظمة الدولية، وأن دولة انتهازية كهذه الدولة لا تستحق البقاء في الوجود».

من جهة أخرى، حاول ناجي الوسيم أن يعرف شيئاً عن هذه الدولة فلم يتمكن، فقد كان حديث مضيفه علوان غامضاً وغير مباشر!! وكلما طلب منه ناجي توضيحاً أكثر عن هذه الدولة، كان رده دائماً ستعرف وسيعرف العالم عن قريب من هي هذه الدولة التي تعطيك من طرف اللسان حلاوة، وتروغ منك كما يروغ الثعلب كما يقول الشاعر العربي.

لكنه في نهاية حديثه، وربما زلة لسان أضاف علوان المفتون شيئاً مهماً جعلت الأمور واضحة أمام ناجي، عندما أشار بأن أسرة الحكم في هذا البلد تجيد فن الابتزاز واستغلال الفرص، وكيف يمكن تدمير خصومها في الوقت المناسب، فقد سعوا على مر التاريخ إلى ترسيخ مؤامرة أمبريالية خطيرة ضد أم الطبول، وكانت بمثابة طعنة في الظهر بخنجر مسموم، لكنهم لم يتمكنوا من تحقيق هدفهم العاثر.

حاول ناجي الوسيم بعد وصوله مباشرة إلى الوطن، نقل ما سمعه من مضيفه علوان المفتون عضو القيادة القطرية والقومية في حزب الانبعاث العربي، وزميله في مجلس إدارة المنظمة العربية للعمل والعمال إلى المسؤولين في بلده، لكنه للأسف

الشديد لم يجد آذاناً صاغية حتى من وكيل الوزارة التي يعمل بها وليس رئيس الحكومة، في الوقت الذي سمع منهم الكثير من عبارات السخرية واللامبالاة، واتهامه بضحالة الفكر والتجربة السياسية، وأنه لم يعد يميز أن ما بين دولة السلام ودولة أم الطبول هو ما صنعه الله وليس الإنسان، من حسن جوار وتآخٍ وتراحم في السراء والضراء.

وما هي إلا أشهر قليلة حتى بدأت ملامح ومفردات الحديث الذي أراد ناجي الوسيم أن ينقله إلى بعض القيادات في بلده تظهر للعيان، بل أصبحت حديث الصحافة والمحللين السياسيين والعسكرين وعامة الناس في مجالسهم الخاصة، والجميع يتحدث عن الخطر القادم من الشمال الغربي، والكل يقول صدقت ناجي، أديت الرسالة ووفيت الأمانة، لكن العزاء أنك لم تجد مسؤولاً في السلطة يقدر ما كنت تريد أن توصله إلى مسامع المسؤولين، إلا بعد أن أخذت الأخبار والأحداث تتوارد عبر الحدود بسرعة هائلة حول حشود عسكرية، والعم سام يدخل من جديد، طالباً وناصحاً السلطات الرسمية في دولة السلام عدم تحريك أية قطعة سلاح، أو تفكر في إعلان حالة الطوارئ أو التعبئة العامة للجيش، أو اللجوء إلى أي مظهر عسكري آخر، حتى لا تثير الجار فيقدم على عمل متهور وغير مسؤول، وقتئذ لن نستطيع تقديم أي مساعدة، لأننا سنكون في موقف سياسي دولي حرج.

t.me/yasmeenbook

بعبارة ثانية، أراد العم سام لدولة السلام الاستسلام قبل أن يبدأ الجنرال منشار عمليات الاجتياح العسكري، وأن تبقى في حالة سكون وركود إلى حين يأتي الجنرال ويمسك برقاب قيادات البلد ويأخذهم أسرى إلى محاكمة صورية، ثم إلى منصة الإعدام والسحل في شوارع أم الطبول، وتنتهي على أثرها دولة كان اسمها دولة السلام، بعد أن تصبح محافظة من محافظات أم الطبول.

كانت ساعة الصفر التي حددها الجنرال منشار الأشول بعلم ومباركة العم سام هي فجر الخميس الثاني من أغسطس 1990م، وهي الساعة التي انفجر على أثرها زلزال صعق العالم وأصاب الأمة العربية في الصميم، زلزال اقتلع من أمامه كل بارقة أمل أو حلم منير في الوصول إلى أي شكل من أشكال التضامن العربي، أو العمل العربي المشترك على أقل تقدير، زلزال أثار غضب دول العالم المحبة للسلام والدول الصناعية الكبرى من بينها، ومن الغريب أن دولة العم سام وعلى وجه السرعة حشرت نفسها بين الدول الصناعية الثماني الرافضة للاحتلال وهي صانعته، مطالبة المنظومة الأممية والدول الكبرى بإنزال أقصى العقوبات بحق هذا المجرم المدعو منشار الأشول، الذي تجرأ وتحدى النظام الدولي، واجتاز حدود دولة جاره مسالمة، لم تقدم يوماً على أي عمل عدائي ضد جارتها أم الطبول.

هكذا انقلب السحر على الساحر، فانقلب معها العم سام سريعاً من صديق ناصح أمين إلى كائن مخادع شرير سادي، زيَّن للجنرال منشار الأشول جميع تلك المصائب التي خطط ورسم نهايتها المأساوية مع السمراء الجميلة الهزيلة!! فهل يتعظ الحلفاء العرب ومن يدورون في فلك العم سام، أن نهايتهم لن تكون أقل رحمة أو مأساوية عما لقيه الجنرال منشار ساعة صعوده مشنقة الإعدام على مشهد من العالم أجمع.

يقول ناجي الوسيم: «مع أشاوس الأشول ونشامى حزب الأنذال عشت متعمداً ومغامراً بحياتي طوال ثلاثة أشهر ونصف الشهر في ظل الاحتلال البغيض، لأكون شاهد عيان على جرائم الجنرال منشار الأشول وجيشه الرعديد، وأروي لأبنائي وأحفادي وأهل بلدي الذين فروا لحظة الاجتياح، وأروي أيضاً لكل من أعرفهم ويعرفونني في هذا العالم الفسيح، ماذا فعلت الضباع المتعطشة للدماء، والذئاب والثعالب الماكرة التي تسعى دائماً للخراب والدمار والقادمة من أم الطبول.. ماذا فعل هؤلاء ببلدي بلد السلام وأبناء شعبي المحبين للخير والسعادة للبشرية».

ويمضي ناجي المجروح في تعليقه قائلاً: «هذه الأفواج من الضباع والذئاب والثعالب الجائعة دمروا الأرض في بلدي، وأهلكوا الحرث والنسل والزرع، ولوثوا بيئة الإنسان ومنبع حياته،

t.me/yasmeenbook

لهذه الأسباب بقيت صامداً على أرض بلدي وأنا أواجه الخطر في كل لحظة لعلاقاتي الشخصية الوطيدة التي تربطني بالنظام القائم في أم الطبول منذ أن كان الرفيق منشار الأشول لاجئاً سياسياً في دولة برنس، وامتدت تلك العلاقة حتى اللحظة التي دنَّس فيها هذا الشيطان المتمرد تراب بلدي».

كان الجنرال منشار الأشول يأمل أن تنضم القوى الوطنية في دولة السلام المحررة إلى صفوف الأشاوس والنشامى، من أجل الظهور أمام الرأي العام العالمي بمظهر وحدوي وليس بصورة محتلين، الأمر الذي سيسهل إقامة حكومة صورية مؤقتة، تصبح بعدها الأرض المسماة دولة السلام المحافظة التاسعة عشرة من محافظات أم الطبول.

لكن سرعان ما خاب ظن الجنرال الأشول، ولم يجد أحداً من هؤلاء الرفاق الشرفاء يمكن أن يتعاون معه، حتى أولئك الأطر الانبعاثية من شباب المعارضة في دولة السلام رفضوا جميعاً نداءاته، معلنين للعالم بأن ما قام به الجنرال منشار هو احتلال لدولة عربية جارة، وليس وحدة بين البلدين كما يدعي هو وقيادته الحزبية القطرية، وهي ادعاءات وممارسات مرفوضة، وخطة لا تنسجم مع مبادئ حزب الانبعاث العربي، وهذا ما جعل عناصر وكوادر هذا الحزب من مواطني دولة السلام يقفون صفاً واحداً مدافعين

عن وطنهم، رغم الخلاف الشديد بينهم وبين حكومتهم وقيادتهم السياسية التي أقدمت على تشويه صورة الديمقراطية والحياة النيابية الجميلة، وتعليق دستور الدولة في محاولة لتفريغه من محتواه الديمقراطي والإنساني والمشاركة الشعبية في إدارة شؤون البلاد.

لا شك أن القوى الوطنية في دولة السلام رغم معارضتها لبعض الممارسات والسياسات الخاطئة التي أقدمت عليها السلطات في بعض الأوقات، وفي مقدمتها محاولاتها إجهاض الحياة النيابية والممارسات الديمقراطية في البلاد، إلا أن هذه القوى كانت مؤمنة أشد الإيمان بوحدة الوطن وبنظام الحكم الذي جاء منسجماً مع العقد الاجتماعي المبرم بين الشعب والحاكم الذي تم اختياره عام 1752م، هذا العقد كان دائماً وأبداً في سلم أولويات القوى الوطنية، وأعلى مرتبة من أي تنظيم وفكر وعقيدة سياسية، وهذا ما عمل بموجبه الزميلان فيصل الشجاع ورفيق دربه ناجي الوسيم منذ أن كانا طالبين في مرحلة الدراسة الثانوية في خمسينيات القرن الماضي، ثم زميلي درب ودراسة جامعية قرابة أربع سنوات، جمعهما فكر تقدمي، رغم اختلافهما حول بعض المفاهيم الفكرية التي تدور حول مبادئ الانبعاث العربي.

هذه العلاقة الوطيدة استمرت كما أشار الراوي بين فيصل الشجاع وناجي الوسيم عندما ذهبا معاً لتلقي العلم في دولة برنس،

t.me/yasmeenbook

حيث عملا بنشاط كبير وفاعل في الحركات الطلابية العربية، وكان أحد إنجازاتهما عندما تمكنا من إقناع المسؤول عن مكتب شؤون الطلاب العرب أمين بيبرس السعي لدى رئيس الدولة قائد الأمة العربية، صانع الوحدة بين الشمال والجنوب العربي، من أجل الإبقاء على اللاجئ السياسي الطالب منشار بن بتار الأشول في دولة برنس إلى حين انفراج الظروف السياسية في بلده.

هنا يروي لنا ناجي الوسيم أحداث وقائع تاريخية تؤكد التزام القوى الوطنية في أرض السلام بدولتهم مهما جارت عليهم أو تباينت عقائدهم السياسية أو الفكرية معها، ومهما ارتفع مؤشر الخلاف بينهم وبين السلطة الحاكمة حول نظام الحكم، فهم دائماً يتذكرون جيلاً بعد آخر ذلك التاريخ الذي مضى عليه أكثر من قرنين وسبعين عاماً حتى الآن، عندما اختار الشعب عميد أسرة الحكم ليكون حكماً وحاكماً بينهم لحملة من الصفاة الحميدة الشيء الكثير الذي كان يتحلى به هذا الرجل الفقيه، ومنذ ذلك التاريخ البعيد أصبحت الشورى والتشاور مبدأ حياة استقى عناصره من عقد اجتماعي يحكم العلاقة بين الشعب وأسرة الحكم منذ ذلك التاريخ البعيد، وجاء دستور الدولة عام 1962م ليؤكد هذه الحقيقة بوضوح في الباب الخاص بنظام الحكم في دولة السلام، ولا يزال العمل سارياً وفق هذا المبدأ والشراكة الجماعية.

يخبرنا ناجي الوسيم بفخر واعتزاز وهو يقول: «عندما دخل جيش الجنرال منشار الأشول المهزوم في الجبهة الشرقية من بلاد فارس أرض الوطن، توجه قائدهم المدعو علاوي الكيماوي في الحال إلى دار فيصل الشجاع منشرح الصدر، يكاد الفرح يرتفع بغروره إلى السماوات السبع، أو إلى آلاف الأميال التي قطعها جيشه المهزوم في دولة الفرس مجبراً وذليلاً، وليس طاووساً نافشاً ريشه ساعات العروض العسكرية الصباحية، أو عنترة بن شداد حاملاً سيفه النووي، وراكباً فرسه الأبجر، كما هو الحال الآن في دولة السلام المحتلة».

هكذا صاح الحاكم العسكري علاوي الكيماوي عندما شاهد الرفيق فيصل الشجاع: «هذا يومك أخي فيصل.. يومك ويومي الذي طالما انتظرناه، طويلاً وبفارغ الصبر».

جاءه الرد السريع الصاعق من فيصل الشجاع: «لا.. وألف لا، هذا يومك أنت فقط وليس يومي، أنت تعلم علم اليقين أن موضوع احتلال دولة عربية من قبل دولة عربية أخرى جريمة محرمة ومدانة في عقيدتنا السياسية والحزبية، ولم يسبق أن اتخذ قرار في القيادة القطرية أو القومية بشأن احتلال دولة السلام، وأن التناغم بين الشعبين عبر التاريخ هو نتاج العلاقات الوديَّة والأخوية وعلاقات المصاهرة، وأن احتلالكم لها اليوم إذا كان

t.me/yasmeenbook

علاجاً وحفاظاً لماء الوجه بسبب هزيمتكم عند البوابة الشرقية للأمة العربية، فأنتم مخطئون لأنكم تعالجون مشكلة بمشكلة أكبر منها، وخطأً جسيماً بخطأ مدمر لكم ولنا وللأمة العربية كسابقة مرفوضة من المجتمع الدولي والمنظومة الأممية».

مؤكداً ومعلناً موقفه الشجاع أمام الحاكم العسكري علاوي الكيماوي قائلاً: «أعلنها أمامك ومنك إلى الرفيق منشار الأشول، بأنني منذ أن دنس أول جندي من جنودكم أرض بلادي، فأنا لم أعد ذلك الإنسان الذي تعرفونه، والذي يستطيع بعد اليوم أن يستمر في التعاون معكم، لأنكم ضربتم بمبادئ الانبعاث العربي عرض الحائط، وأن سلوككم هذا لا يختلف عن سلوك الكيان الصهيوني المغتصب لأرض دولة فلسطين العربية وغيرها من الأراضي العربية، وأن احتلالكم لبلدي اليوم هو مفترق الطرق بيني وبينكم».

كان موقفاً وطنياً رائعاً وشجاعاً من فيصل الشجاع المؤمن بعقيدة الانبعاث العربي حتى النخاع، عقيدة اتخذها الجنرال منشار الأشول وزبانيته تجارة وبضاعة سياسية رخيصة يتداولونها في إطار سلوكهم السياسي وممارساتهم الانتهازية الشريرة، لكن هل نجا فيصل الشجاع القيادي في حزب الانبعاث العربي، الذي وقف في تلك اللحظة الحرجة أمام قائد جيش الاحتلال الذين

انتشروا كالجراد في أرض السلام، موقفاً وطنياً شجاعاً قلما يتكرر في تاريخ الشعوب ساعة المحن؟

نعود ونتساءل من جديد، هل نجا فيصل الشجاع من تداعيات إعلان موقفه الوطني، والانسحاب من حزب الانبعاث العربي غير مأسوف عليه؟

ويأتي الجواب من رفيق الدرب ناجي الوسيم، قطعاً لا، فقد دفع فيصل حياته ثمناً لموقفة المبدئي الشريف الشجاع، واليكم الحكاية، وخاصة أولئك من اتهموا هذا الإنسان الوطني الشريف يوماً بالخيانة الوطنية!!

إليكم الحكاية كما يلخصها لكم ناجي الوسيم في الفقرات التالية:

«كنت على موعد مع أخي فيصل ظهر ذلك اليوم الكئيب من شهر سبتمبر 1990م، موعد ولقاء على مأدبة غداء في منزله الكائن في إحدى ضواحي العاصمة، والذي سيضم عدداً من أصحاب الرأي والقوى الوطنية التي كانت تعمل في المقاومة آنذاك، ولما كانت منافذ الطرق المؤدية إلى المنطقة السكنية التي كنت أقيم فيها غير سالكة في ذلك اليوم بسبب القيود الأمنية التي فرضها عليها جيش الاحتلال، فإنني لم أتمكن من الوصول إلى حيث يقيم الصديق فيصل، فقد أحاط جنود الاحتلال منافذ منطقتنا

t.me/yasmeenbook

بحواجز عسكرية، تمهيداً لتمشيطها وتفتيشها، بحثاً عن عناصر من المخربين والفوضويين، كم ادعى الإعلام العسكري لقيادة جيش الاحتلال، عقاباً للتظاهرات الاحتجاجية التي قام بها سكان المنطقة قبل يومين، لكن شيئاً من هذا القبيل لم يحدث حتى الساعة الرابعة مساءً، فأدركت بأن الحواجز الأمنية التي أقيمت على مداخل المنطقة لم تكن إلا أدوات للترهيب وبث روح الانكسار في نفوس المواطنين، وإشاعة حرب نفسية وإرهابية، وإدخال الرعب والخوف والفزع في نفوس أولئك الذين نظموا تلك التظاهرة الاحتجاجية التي طافت شوارع المنطقة، تظاهرة ضمت كباراً وصغاراً، نساءً ورجالاً، شباباً وشابات وشيوخاً، رافعين شعارات تدعو المحتل إلى الرحيل، وأخرى تعلن تمسكها بالقيادة السياسية وأسرة الحكم، والنظام الديمقراطي القائم في البلاد قبل هجوم الجراد الذي حجب الشمس والهواء عن أرض السلام».

وفي اليوم التالي، كان ناجي الوسيم على وشك الذهاب لزيارة الصديق فيصل الشجاع للاعتذار عن تخلفه عن حضور دعوة الغداء والمشاركة في الحوار، وإذا بجاره أبو ضاحي الذي كان يوماً ضابط استخبارات في المباحث العامة للدولة يفاجئه بأن الزميل الشجاع قد اعتقل ومن معه ظهر أمس، واقتيدوا إلى عاصمة

أم الطبول، حيث وضعوا جميعاً في شاحنة عسكرية واتجهوا بهم إلى هناك، بتهمة عقد اجتماع سري لمقاومة الثورة المباركة التي حدثت في أرض السلام، بينهم أفراد من المقاومة المسلحة وآخرون مناهضون لأية فكرة وحدوية بين الشعوب العربية، كحال الوحدة التي تجمع اليوم دولة السلام بشقيقتها أم الطبول.. إنها كذبة سافرة جاءت لتبرر الاحتلال بقوة السلاح.

منذ تلك اللحظة انقطعت أخبار الصديق فيصل الشجاع، ولم يعد أحد يعلم شيئاً عن مصيره حتى اليوم، لكن من المؤكد أنه تمت تصفيته بتهمة الخيانة العظمى لمبادئ الانبعاث العربي التي سحقها الجنرال منشار الأشول بحذائه يوم وطئت رجلاه وأرجل جنوده أرض دولة السلام غازياً ومحتلاً.

هكذا كان يردد صديقه ناجي الوسيم في لقاءاته مع أقرانه، لأنه كان على علم ومعرفة، ودراية عميقة بسلوك قادة وزعماء أم الطبول، وطرق الانتقام التي يلجؤون إليها حيال أعدائهم السياسيين، وحتى أصدقائهم ورفاق دربهم إذا ما شعروا بأن أحدهم بات يشكل عنصراً خطراً وتهديداً للنظام الذي يسهرون على سلامته وبقائه واستمراره.

نقلاً عن صحفي يدعى أبو السرور العتبي الذي اعتقلِ ضمن المجموعة، على الرغم من أنه لم يكن من مواطني دولة

t.me/yasmeenbook

السلام، وإنما جاء إليها من إحدى دول الخليج العربية لتغطية أخبار صحفية قبل الاحتلال بيومين، والذي التقاه ناجي الوسيم بحكم معرفة سابقة بعد الإفراج عنه ببضعة أيام، حيث نقل له شيئاً من معاناة المجموعة قائلاً: «أخبرني الصحفي أبو السرور أنه بعد ساعات تجاوزت الخمس عشرة ساعة من عناء الطريق، وصلنا إلى مشارف عاصمة أم الطبول، وأودعونا جميعاً سجن باستيل الحديث المعروف سابقاً باسم سجن أبو الغرائب، وفي عنبر كبير دهن جدرانه وسقفه باللون الأحمر الدموي، دلالة على أن من يقيم في هذه الزنزانة محكوم عليه بالإعدام، أما فيصل الشجاع فقد وضع في زنزانة منفردة أشبه بجحر تسكنه الثعابين والحيوانات المتوحشة، وأنه تمكن من الوصول إليه عند منتصف إحدى الليالي المظلمة، حاملاً إليه طلباً من الزملاء المعتقلين يتمنون عليه إرسال رسالة استرحام وتظلم للرفيق منشار الأشول بصفته رفيق دربه، لعله يفرج عنه وعنهم».

ويسترسل ناجي الوسيم في هذا السياق قائلاً: «شعر أبو السرور لحظتئذ وكأن فيصل لدغه ثعبان من نوع الكوبرا، فأخذ يصيح بأعلى صوته المكبوت والمبحوح وغير الواضح من حيث مخارج الكلمات والعبارات، رافضاً بإصرار شديد تقبل فكرة التظلم والاسترحام، لأنه كان يرى في قبولها العيش بقية حياته

مهاناً ذليلاً منكسراً، كما كان يرى في الإقدام على هذه الخطوة استسلاماً مهيناً، وأن على الجميع أن يتحملوا المصيبة والبلاء، فهو أشرف وأكرم من طلب الرحمة والتظلم من رفيق درب خان الأمانة، وانحرف بالمبادئ عن جادة الصواب».

ويضيف أبو السرور: «ثم أنهى فيصل رده بعبارات موجزة قال فيها، أنا وأنتم لسنا أفضل من الوطن المحتل، ولا أفضل من الشباب والشابات الذين يتساقطون كل يوم شهداء على تراب الوطن، ويجعلنا ننحني أمامهم ونقدر تضحياتهم ووقفاتهم البطولية كما نقف نحن اليوم في معتقلنا، فداء لوطن عزيز سنعود إليه حتماً عاجلاً أو أجلاً، وسنراه بحلية أحلى وأفضل مما كان عليه».

لم يعد في جعبة أبو السرور ما يثير اهتمام فيصل الشجاع ويدفعه للاستجابة لطلب المجموعة سوى أن يفاجئه بخبر مؤلم بأن ابنه زيد المعتقل مع المجموعة أصيب بفقر دم ولا يقوى على المشي سوى السير والزحف على ركبتيه، وهو يلتمس دائماً العون والمساعدة لحاله وظروفه الصحية.

كان جواب فيصل الشجاع مفحماً للجميع: «أن ابني زيد ليس أفضل من شباب وأبناء وطننا المحتل، وعليه أن يتحمل ما أصابه، وينتظر الفرج، ويتقبل مصيره مهما كان قاسياً فإنه لن يرتقي إلى حال الآخرين الذين يرزحون تحت نيران الاحتلال في الوطن المحتل».

t.me/yasmeenbook

يقول ناجي الوسيم بألم شديد: «بهذه الرسالة المحزنة التي حملها لي الصحفي الزميل أبو السرور، ودعت الزميل فيصل الشجاع الوداع الأخير في قرارة نفسي، فقد انتهت في نظري حياة إنسان شجاع، اسم على مسمى، مخلص لوطنه ومبادئه في الحياة، دون أن يعرف أحد كيف انتهت حياته بيد صديقه الطاغية منشار الأشول، الذي كان يوماً فتى مشرداً يرعى الأغنام في قرية نائية، لا يعرف نسبه لأبيه على وجه التحديد، لكنه كان معروفاً في القرية بأنه ابن مسحة كحيلان الأعور، ورغم ذلك أصبح رئيس دولة عربية كبيرة صاحبة تاريخ طويل وحضارة في عمق التاريخ، لكنه كان رئيس دولة من نوع خاص، فقد أدرج اسمه ضمن قائمة أشهر الرؤساء المجرمين الطغاة في العالم أمثال: جوزيف ستالين، أدولف هتلر، بينتوموسليني، فرانشيسكو فرانكو، كان نمروداً جعل شعب أم الطبول من شدة الخوف والهلع يرفعون صوره الشخصية في صالات بيوتهم وغرف نومهم، وفي الساحات والميادين، وفي كل ركن وزاوية من شوارع الدولة وحواريها ونواحيها التي امتلأت بصوره ومجسماته الشخصية».

لقد صدق ناجي الوسيم فيما ذهب إليه، فقد عرف عن الجنرال منشار الأشول أنه يعشق العمل خلف الكواليس، ويظهر كالعفريت فجأة أمام الجماهير، ليس على مسرح فكاهي وإنما

في أحد الميادين أو الساحات أو الأسواق الشعبية أو المتنزهات العامة، ويختفي بسرعة البرق وكأن المخرج طلب منه الخروج من العرض في الحال، أو كان مارداً أخذ يطارده ويريد النيل منه!! لكن في جميع الأحوال والظروف كان معيار وصمام حركته ملازماً لردود أفعال المستعمر الجديد على ما يصدر عنه من مؤشرات إيجابية أو سلبية حيال تصرفاته ومواقفه السياسية.

هذه المؤشرات وتحديداً الصاخبة المثيرة للنزاع هي التي قادت الأشول إلى حرب السنوات الثماني ضد دولة الفرس، وهي التي أنارت له الضوء الأخضر للمرور إلى دولة السلام واحتلالها، ذلك الاحتلال الذي كان بمثابة فخ أمبريالي اصطاد وحشاً كاسراً اسمه منشار بن بتار الأشول.

إن احتلال أرض السلام كان القشة التي قطمت رقبة الوحش فوق منصة الإعدام فجر يوم عيد الأضحى 30 ديسمبر 2006م، وفي الموقع نفسه الذي اعتاد أن يستخدمه لإعدام المناوئين له.

في تلك اللحظة الفاصلة بين الحياة والموت بدأ منشار يراجع أفعاله الدنيئة والجنونية، ويعترف بأن ما أقدم عليه في بلاد فارس وأرض السلام كان خطأ فادحاً، وخدعة رسمها المستعمر الجديد ليزين الطريق أمامه إلى حبل المشنقة وليس إلى المجد والعلى الذي كان يتطلع إليهما كقائد لأمة عربية تمتد من بحر الخليج العربي إلى مشارف بحر المحيط الأطلسي، خدعة أراد المستعمر

t.me/yasmeenbook

إظهاره أمام العالم في صورة وحش كاسر محب لسفك الدماء، وإلحاق الدمار ببيئة الإنسان، وبهذه الصفات العدائية بات منشار يشكل خطراً يهدد السلام والأمن العالميين.

كانت هذه أحد الأسباب الرئيسة التي جعلت مجلس الأمن الأممي يسارع إلى اتخاذ قرار بموجب الفصل السابع من ميثاق المنظومة الأممية بتحرير دولة السلام باستخدام القوة، وشكلت لهذا الغرض تحالفاً دولياً من اثنتين وثلاثين دولة بقيادة العم سام، المعلم الناصح والمرشد الأمين للجنرال منشار بن بتار الأشول، حيث تمكن من إنهاء احتلاله لأرض السلام خلال ست ساعات، وبعد احتلال دام ستة أشهر وبضعة أيام حالكة السواد.

كانت هزيمة ساحقة ماحقة لجيش الجنرال الجرار، امتدت أشلاء جثث جنوده وقتلاه وآلاته العسكرية المدمرة على امتداد أكثر من خمسين كيلومتراً في عمق دولة السلام في اتجاه الحدود إلى الدولة المعتدية، دولة أم الطبول.

هذا المشهد كان مدخلاً لشروع العم سام في وضع خطة واستراتيجية لاحتلال أم الطبول بكامل ترابها الوطني خلال الفترة الواقعة بين مطلع شهر مارس وحتى نهاية أبريل 2003م، من خلال تحالف دولي شكل من أربعين دولة خارج إطار المنظومة الأممية، وهذا ما سنقف عليه في الجزء القادم من الرواية.

t.me/yasmeenbook

7

احتلال أم الطبول نهاية الجنرال

دفع العم سام الجنرال منشار بن بتار الأشول نحو الهاوية خطوة بعد خطوة من خلال تشجيعه للاعتداء على جيرانه، واحتلال أراضيهم وتشريد شعوبهم، ووضع يده على مصادر أرزاقهم من دخول وثروات، وذلك من أجل إظهاره في صورة وحش كاسر، لا يضع وزناً للصداقة والأخوَّة والجيرة، ولا يعتد بالقيم الدينية والأخلاقية، ولا وزناً للمواثيق الدولية والأممية، شعوراً منه بأنه عالم خاص، ومنظومة فكرية قائمة بذاتها، عالم يتكوَّن من مجموعة من العقول، كل واحدة تحمل فكراً مستقلاً يختلف عن الآخر، لكنها في النهاية تشكل وحدة واحدة تتمثل في شخصيته الفريدة، شخصية من يقترب منها من باب الصداقة والتعاون والعمل المشترك، فإنه يجد نفسه بعد فترة يرحل عن الدنيا لسبب مجهول إذا لم يلتزم بمعايير ومقومات شخصيته، كما حصل مع صديق العمر عبود المطيع.

t.me/yasmeenbook

لا شك أن تعامل العم سام مع شخصية قيادية مضطربة لم يحدث عشوائياً بين ليلة وضحاها، وإنما بعد وقفة طويلة ودراسة مستفيضة من قبل عدد من علماء النفس الأكلينيكيين المعنيين بدراسة الشخصيات الهامة وخاصة القيادية، هؤلاء العلماء الذي اتضح لهم بعد الدراسة والاستشارة، وبما لا يدعو للشك أن الجنرال منشار الأشول يعاني حالة عشق الذات، أدت به بمرور الوقت والممارسة إلى الغرور، وإلى حالة من النرجسية المرضية، جعلته ينظر إلى نفسه وكأنه إنسان نادر الوجود، مما أفقده القدرة على التعاطف مع الآخرين وخاصة مع المحيطين به، وبالتالي أصبح من الصعب التعامل معه بسبب روح التعالي والغرور التي تملكته، الأمر الذي جعله عرضة للمشاكل والمصائب، كما حدث له في الحروب الخليجية الثلاث التي أشعلها بيده وفكره المريض في منطقة الخليج العربية.

وعلى الرغم من هذه السمات الشخصية النزقة، إلا أنه انساق بصورة لا إرادية لرغبات العم سام ومخططه الاستعماري الخطير لاحتواء أم الطبول والعالم العربي.. انساق خلفه وكأنه تحت تأثير تنويم مغناطيسي، جاءت نتيجة دراسة شخصيته التي قام بها عدد من علماء النفس الأكلينيكيين الذين كلفوا بهذه المهمة، ومن خلال النتائج التي توصلوا إليها عرف العم سام كيف يشبع

t.me/yasmeenbook

رغبات الجنرال منشار الأشول ونزواته وحبه التمدد في أراضي دول الجوار بالقوة، وذلك لتأكيد ما يتمتع به من قوة وعظمة ومكانة شخصية بين رؤساء دول العالم الثالث، دون أن يدرك هذا المخلوق بأن ما يفعله ويقدم عليه هو بداية الطريق لزواله وزوال نظام حكمه.

كان العم سام بعد تحرير دولة السلام، مهيأ ومستعداً وشديد الحماسة لإنجاز مهمة اقتلاع الجنرال منشار الأشول من الوجود، تلك المهمة المؤجلة التي ترك استكمال فصولها المستحقة بعد هزيمته عند البوابة الشرقية للأمة العربية، إلى حين فرصة عبثية مضافة تسود وجه الجنرال أمام العالم، وجاء احتلاله لدولة السلام لتهيئ له هذه الفرصة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر، فشكل في الحال تحالفاً دولياً خارج المنظومة الأممية بقيادته، وتحت شعار (الصدمة والترويع)، تحالف لم يضم أية دولة عربية، سوى الدعم اللوجيستي الذي كان يحصل عليه من دولة السلام وبعض دول الخليج العربية.

لم تمضِ ثلاثة أسابيع على حرب أشبه بنزهة سياحية ترفيهية حتى سقطت أم الطبول، وتحديداً يوم 9 أبريل 2003م، عندما أعلن العم سام سيطرته الكاملة عليها، وجاءت مبررات الاحتلال لإقناع الرأي العام العالمي بحكاية من حكايات ألف ليلة وليلة، بأن

t.me/yasmeenbook

الجنرال منشار الأشول راعي الأغنام والمواشي سابقاً، لم يسمح للجان تفتيش الأسلحة الأممية بمزاولة أعمالها والمهام المنوطة بها، واستمراره في تصنيع وامتلاك أسلحة دمار شامل، وعدم التعاون في تنفيذ تسعة عشر قراراً أممياً بشأن الإفصاح عن ترسانته العسكرية من هذه الأسلحة الفتاكة، إضافة إلى ذلك قام بترتيب علاقات قتالية مشتركة مع تنظيم القاعدة ومنظمات إرهابية أخرى تشكل في مجموعها خطراً جسيماً على أمن واستقرار العالم، ولم يبق من المبررات غير المنطقية لغزو أم الطبول واحتلالها، سوى أن يعلن العم سام إلى العالم بأن الجنرال الأشول كاد يرسل جيشاً مدججاً بالسلاح قوامه مليون جندي مع كامل معداتهم العسكرية المتقدمة، تدعمهم منظمات إرهابية دولية، إضافة إلى فصائل من المقاتلين المرتزقة المأجورين، لتغيير النظام الديمقراطي في بلده!!

هذه الادعـاءات الصادرة عن دولة عظمى انكشف زيفها بعد انقشاع غبار الحرب غير المتكافئة، وسيطرة العم سام على مقدرات أم الطبول، الدولة الغنية الثرية، ليتضح للعالم فيما بعد أن أم الطبول لا تملك شيئاً من هذه الأسلحة، ولا تملك مصانع لإنتاجها، وأن الأسلحة الكيميائية التي استخدمها في شمال بلاده كانت كمية محدودة حصل عليها من دول صديقة، واشترى كمية منها من تجار السلاح الذين يملكون هذا النوع من الأسلحة في

العالم، استخدمها ضد شريحة من شعبه يختلفون معه لغة وثقافة وقيماً، وقد انتهى أمر هذه الأسلحة ولم تعد دولة أم الطبول تملك منها شيئاً.

إن ما صدر عن الجنرال الأشول من تصريحات حول هذه الأسلحة، لم تكن سوى حالة لاشعورية من التباهي أراد الجنرال خلالها استعراض قوة وهمية لترهيب الآخرين، وخلق أجواء من التوتر في الشرق الأوسط، فصدق العالم أنه يمتلك سلاح دمار شامل، خصوصاً بعد أن أطلق صاروخين هزيلين على بعض المستوطنات الصهيونية الحدودية، جعلت الكيان الصهيوني في دوامة مصطنعة من الخوف والهلع والفزع!!

أما العلاقة مع تنظيم القاعدة، فهذا ادعاء مكشوف مزيف، فمن سابع المستحيلات أن تبني القاعدة علاقات مع نظام كالنظام القائم في أم الطبول آنذاك، ذلك لأن النظام القائم في هذه الدولة بزعامة حزب علماني اشتراكي راديكالي، بعيد كل البعد عن الأنظمة العقائدية الدينية، يجعل هذه الدولة في نظر القاعدة في عداد الدول الملحدة التي يجب العمل على إزالتها، ولا يجوز التعامل معها بأي صورة من الصور، بل كانت فصائل الإسلام السياسي تتجنب وتهاب الاقتراب منها، ولم تدخل أم الطبول إلا بعد رحيل نظام الانبعاث العربي.

t.me/yasmeenbook

تحت هذه الادعاءات المزيفة، والمشاهد العنترية المزيفة للجنرال منشار الأشول المتباهي بقوته وإرادته التي لا تقهر، سقطت أم الطبول وهرب فلول النظام إلى دول الجوار، وشنق الجنرال الأشول وأشقاؤه وابن عمه الشرس علاوي الكيماوي، بعد محاكمة علنية شهدها العالم، سيأتي ذكرها في جزء مستقل من الرواية، كما قتل ابناه اللذان أشاعا جواً من الإرهاب المجتمعي في البلاد لا يطاق، جعلت أصحاب العقول والكفاءات العلمية تفر من مجتمع أم الطبول، مثلما لجأت زوجاته وبصحبتهن أطفالهن وبناتهن إلى دول الجوار، وحطمت كل التماثيل والجداريات، ورفعت جميع الشعارات التي تمجد الجنرال منشار الأشول، وأصبحت أم الطبول مرتعاً للنهب والسلب بموافقة وإرادة جيش الاحتلال.

احتلال أشاع حالة من الفوضى العارمة في أرجاء أم الطبول، ودفعت جماعات وأفراداً من الجهلة والبسطاء والفقراء والمعدمين من الشعب يقدمون على نهب الوزارات والمؤسسات الحكومية حتى أصبحت على البلاط على مرأى من أفراد جيش العم سام، الذين وقفوا متفرجين مبتسمين ضاحكين على ما يقوم به هؤلاء القوم الأغبياء من عمليات نهب وسلب لتلك المؤسسات التي يجب أن ترعى وتدعم شعبياً لتبقى مراكز وطنية شامخة رغم عنف

وجبروت المحتل، وعدم السماح له بتحقيق هدفه الاستعماري، ألا وهو السعي لجعل الدول الثرية صاحبة الحضارات العريقة في عمق التاريخ، دولة فاشلة في القرن الحادي والعشرين.

ويأتي المستعمر الجديد المحتل بحاكم عسكري تحت غطاء حاكم مدني يدعى بول بريمر الذي استبدل شعب أم الطبول اسمه باسم ولقب آخر، ليصبح بول قيمر أو (أبو القيمر)، هذا الحاكم العرفي المشحون بشعور الكراهية للعرب والمسلمين ألغى جميع مظاهر العسكرة في الدولة، ولم يعد هناك جندي أو شرطي في الحياة العامة لشعب أم الطبول، ولا يوجد قطعة سلاح لدى أفراد الشعب، لأنه بات من المحرمات، عقابه السجن المؤبد، فضلاً عن ذلك أقام معسكر اعتقال أصبح سجناً رهيباً أطلق عليه (كالابوكا)، تخليداً لذكرى رونالد بوكا، الجندي في اللواء 800 للشرطة العسكرية، الذي لقي حتفه في هجمات 11 سبتمبر 2001م.

لاقى المعتقلون والمسجونون في هذا المعتقل من أتباع النظام السابق ومحبي الجنرال منشار، أو المناوئين للاحتلال من القوى الوطنية، شتى ألوان العذاب والتعذيب والإهانة للكرامة الآدمية على يد سجانات محترفات وليس سجانين، وذلك لمزيد من الإهانة على يد هؤلاء النسوة اللواتي تدربن على ألوان من الأفعال والممارسات اللاإنسانية.

t.me/yasmeenbook

كان مشهداً مألوفاً في المعتقل أن تشاهد معظم الأيام داخل السجن سجانات يمتطين قادة الحزب ورجالات الدولة السابقين وهم يتحركون على الأربع في ممرات السجن، وهن ممسكات بالرسن المربوط بأعناقهم كالخيول، يتحركون حسب الإشارة والعبارة القذرة وكأنهم في سباق.

لم يكتفِ الحاكم العسكري-المدني أبوالقيمر بالسماح بهذا المشهد اليومي، بل اتخذ قراراً آخر أشد وطأة من ذلك عندما جعل المعتقل أو السجن وكراً ومعسكراً لتدريب العملاء والإرهابيين، ومن هذا الوكر انطلقت فصائل الإسلام السياسي المقاتلة (داعش)، بزعامة أمير المؤمنين أبو ابراهيم الهاشمي القرشي، الذي اغتيل بأمر من العم سام، بعد أن أنجز المهام المطلوبة منه بصورة بشعة، شعر معها العم سام أن هذا المخلوق الذي تم تدريبه على أيديهم في معسكر (كالابوكا)، بدأ يتقمص بحق وحقيقة دور الخليفة، وأنه أصبح أميراً للمسلمين في القرن الحادي والعشرين، ولهذا السبب تم تصفيته ليكون عبرة لكل أمير للمؤمنين مستقبلاً.

كان هذا شيئاً من إنجازات الحاكم العسكري-المدني المدعو أبو القيمر الكارثية، أما جهوده الاستثنائية على المستوى المالي، فقد سمح لضعاف النفوس من المواطنين بإفراغ ما تبقى من الأرصدة المالية في خزائن المؤسسات المالية من بنوك

وصناديق سيادية ومالية متنوعة، وما تملك الدولة من عملات محلية وعملات أجنبية صعبة، جميعها نُهِبت من قبل هؤلاء العملاء وخاصة سراق المال العام، سواء كانوا داخل السلطة أو خارجها بعلم الحاكم المحتل أبوالقيمر، وذلك من أجل الإسراع في تحقيق الدولة الفاشلة في عهد إدارته الميمونة.. عفواً المجنونة المارقة.

لقد حقق الحاكم العسكري-المدني أبو القيمر ما أراد العم سام في زمن قياسي، فقد انحدر بدولة أم الطبول صاحبة الحضارات والمال والثروة إلى منحدر عميق، وجعلها غير قادرة على حماية مواطنيها، وعدم القدرة على توفير المواد الغذائية بصورة منظمة ومستمرة، أو تقديم خدمات الرعاية الصحية والتعليمية والسكنية، مما جعل الفقر والجهل والأمية تنتشر بسرعة هائلة بين السكان، ويصبح حالهم كحال بعض الدول الفقيرة في القارة الأفريقية التي ناهضت سياسة المستعمر الجديد.

ومن الغريب والمدهش أن السرقات والنهب من المال العام جاءت من أعلى المستويات بين المواطنين بتشجيع من العم سام، وتنفيذ وإشراف حاكمه العرفي أبو القيمر، لتجعل أم الطبول دولة فاشلة فاقدة السمعة والأهلية في فترة وجيزة، الأمر الذي دفع المنظومة الأممية وبطلب من العم سام لإنشاء صندوق خاص باسم

t.me/yasmeenbook

دولة أم الطبول، تجمع فيه إيراداتها النفطية وغيرها من الإيرادات العديدة المتنوعة، للإنفاق منها على الشعب، ودفع التعويضات الهائلة لعدد كبير من الدول والأفراد والشركات المتضررين من مصائب الجنرال الأشول وجنوده الأشاول، وفي مقدمتها دولة السلام التي قدرت تعويضاتها من قبل المنظومة الأممية بحوالي أربعين ملياراً من العملات الصعبة، نتيجة إقدام الأشاول جنود الجنرال منشار الأشول في آخر لحظة على حرق أكثر من سبعمئة بئر نفط، بأمر القائد الأعلى للقوات المسلحة الجنرال منشار، تسببت في إحداث غيمة سوداء غطت سماء دولة السلام والدول المجاورة والدول المطلة على المحيط الهندي، ترتب عليها تلوث بيئي عالمي، كما ترتب عليها هروب آلاف العمال المهاجرين من دولة السلام، دون أن يحصلوا على حقوقهم وادخاراتهم المالية التي جمعوها عبر سنوات لقاء أتعابهم من العمل، وأصبحت واجبة الدفع من خلال الصندوق الأممي.

هكذا تمكن العم سام من استدراج الجنرال منشار الأشول من صبي متعاون مع استخباراته إلى أداة فاعلة تمهد له الطريق لقيام نظام عالمي جديد في الشرق الأوسط، يكون في خدمته ورهن إشارته، نظام جيوسياسي سوف يتغير معه خارطة المنطقة، وتتجزأ الدول العربية وحدة اللغة والثقافة والتاريخ إلى دويلات

عميقة طائفية وعرقية متطاحنة متناحرة، فاقدة القوة والإرادة، لا تستطيع أن تقرر مستقبلها بمفردها دون الحاجة إلى مساعدة ومشورة المستعمر الجديد العم سام.

فمن هو الزعيم المتسبب بكل هذه المصائب؟ إنه بلا شك الجنرال منشار بن بتار الأشول، الذي قاد العالم العربي وقذف به في أتون عهد استعماري جديد حالك كظلمة ليلة من الليالي الممطرة، عهد سيئ الذكر أصبح فيه الأخ عدواً لأخيه، والعدو الصهيوني المشترك أصبح صديقاً وابن عم حميم للأغلبية العربية، وخاصة بعض الدول العربية الخليجية، فلم يعد هناك قضية مركزية للأمة العربية، ولا عمل عربي مشترك، ولا أمانٍ وطموحات مستقبلية لأمة موحدة، بل خضوع وركوع وخشوع وسجود للعم سام، ولما ورد في التوراة، الكتاب المقدس عند بني صهيون، الذي فرض واجباً مقدساً عليهم يدعوهم في القريب العاجل إلى إقامة دولتهم الصهيونية القومية على أنقاض دولة عربية كان اسمها فلسطين، والشروع في ضم المزيد من الأراضي العربية لتحقيق ما ورد في هذا الكتاب المقدس الذي يؤكد بما لا يدعو للشك: (هذه أرضكم يا بني إسرائيل من النيل إلى الفرات).

يقول ناجي الوسيم: «تمكنت من دخول بلدي مباشرة بعد تحريرها من المغتصب الناكر للجميل، بحكم المسؤوليات

t.me/yasmeenbook

الكبيرة التي كانت منوطة بي، والتي أعطتني مساحة كبيرة من حرية الحركة في الدخول والخروج من دولة السلام في أية لحظة، إذا استثنينا واستبعدنا الزيارة الأولى بعد التحرير بثلاثة أيام، والتي كانت بالنسبة لي مخيفة ومرعبة، وكنت على وشك العودة من حيث أتيت، لكنني فضلت التريث قليلاً، على الرغم من أنها كانت زيارة مرعبة ورهيبة، شعرت لحظتئذ وكأنني أشاهد فيلماً سينمائياً مرعباً للمخرج العالمي الراحل الفريد هتشكوك».

وفي السياق نفسه يقول الوسيم: «كان الوقت عند الساعة الواحدة ظهراً، لكنني شعرت بأنني في منتصف الليل بسبب سحابة الدخان الأسود الكثيف الصادر عن حرق آبار النفط، والتي غطت سماء بلدي، وأصبحت رائحة جسدي وملابسي مشبعة برائحة النفط كرائحة الجو الذي أستنشقه، بصريح العبارة أصبحت ملوثاً ببقع الزيت التي تمطر من السماء دون أن نراها أو نحس بها إلا بعد أن تصبح أجسادنا ملوثة وكأننا صبية نعمل في مصنع للزيوت أو في محطات غسل السيارات اليدوية».

ثم يضيف قائلاً: «ونظراً لانعدام الطاقة الكهربائية، فقد أصبح الجو العام الذي أعيشه وكأنني في ليلة ظلماء بحق وحقيقة، حيث وجدت العصافير على أغصان الشجر في حديقة بيتنا وهي نائمة، شعوراً منها بأن الوقت ليل، إضافة إلى رائحة النفط والغاز الذي

بات يلاحقني أينما اتجهت داخل البيت، وقد حاولت أن آخذ قسطاً من الراحة فلم أتمكن بسبب الرائحة القاتلة، فكرت أن ألجأ إلى بيوت الأقارب فوجدت أن الوقت غير مناسب، وأن الوضع لن يختلف كثيراً عن ما أنا فيه، فقررت العودة من حيث أتيت رغم حالة التعب والإرهاق والعناء التي كنت فيها تلك اللحظة».

ويأتي السؤال الملح على الفكر والعقل، ماذا أراد العم سام من وراء إشعال هذه الكوارث في منطقة هادئة آمنة مستقرة ثرية ومرفهة؟ هل الأزمة المالية الحادة التي كان يعانيها آنذاك دفعته إلى افتعال هذه الحروب والكوارث، من أجل استنزاف القدر الأكبر من فوائض أموال هذه الدول المخزونة في بنوك عالمية، أو مستثمرة في صناديق سيادية عالمية؟ أم القضية كانت أكبر من ذلك وتجاوزته إلى فكرة إقامة إقليم شرق أوسطي جديد، يضم جماعات عرقية ودينية ومذهبية تتحول بمرور الزمن إلى دويلات طائفية وعرقية يجمعها إطار كونفدرالي يسمح للكيان الصهيوني بأن يسود العالم العربي؟

هذا ما سنقف عليه في الأجزاء القادمة من الرواية.

t.me/yasmeenbook

8

من القبو إلى المشنقة ثلاث سنوات مثيرة

بسقوط عاصمة أم الطبول بيد جيش الاحتلال، جيش العم سام، هرب الجنرال الأشول والأطر القيادية والحزبية العاملة معه من الأنذال إلى أماكن متفرقة في البلاد، وكان سعيد الحظ من تمكن من التسلل إلى إحدى دول الجوار، أما الأشول فيقال أنه اختفى مع دخول أول جندي من الفرقة الخاصة الحمراء مدينة العجاج مسقط رأس منشار يوم 15 أبريل 2003م.

كان العم سام طوال هذا الوقت في حالة من القلق الشديد، خوفاً من أن يهرب الأشول خارج البلاد، عندئذ سيصبح الوصول إليه أمراً مستحيلاً، خاصة إذا كانت تلك الدولة من الأقطار التي لا تكِن له الودَّ والاحترام باعتباره مستعمراً جديداً جاء مع مطلع القرن الحادي والعشرين ليحكم العالم في حركته وسكونه وحراكه بأسلوب مختلف عمن سبقوه من المستعمرين في إدارة شؤون مستعمراتهم، ولهذه الأسباب الشريرة أخذ يبث بذور

العداء والشر منذ اليوم الأول من حكمه في كل شبر في الكرة الأرضية لينبت له عميل أو حليف يرعى مصالحه.

وقد شكل لهذا الغرض مجموعة قوامها ستمئة جندي من خيرة الفرقة الخاصة التي تضم أكثر من خمسين ألف جندي، والتي تُكلف عادة بالمهام الصعبة، أنيط بها البحث عن الجنرال الأشول في كل شبر من أرض أم الطبول مهما كلف الثمن، مالاً وأرواحاً، مهمة أطلق عليها شعار (الفجر الأحمر).

عملت الفرقة الخاصة طوال أشهر في البحث والمتابعة دون نتيجة، حتى كاد يصيبها حالة من اليأس والتوقف عن عملها، خاصة عندما تبنى البعض من أعضاء الفرقة فكرة احتمال هروبه خارج البلاد، وأخذت الأقوال والحكايات تتضارب حول اختفائه، فالبعض يقول إنه مختبئ في أحد القصور الرئاسية، والبعض الآخر يؤكد بأنه في قبو في أحد قصور زعماء العشائر المتنفذين من أصحاب السطوة والكلمة العليا في الدولة والعشيرة.

وأخيراً جاء الفرج عندما تمكنت الفرقة من الوصول إليه بناء على وشاية وصلت إلى مسامع الفرقة من أحد أقرباء زوجة الأشول الغجرية، فوضع في الحال تحت متابعة ورقابة صارمة، ونتيجة تعقبه وأفعاله المريبة وتحركاته الغريبة ألقي القبض عليه وتم استجوابه ومن خلال جلسات الاستجواب المكثفة، انهار

t.me/yasmeenbook

القريب بسبب الإجهاد وتم التعرف إلى مخبأ الأشول في قبو تحت سطح الأرض في مزرعة قرب موطنه ومسقط رأسه في مدينة العجاج.

انتشر خبر توصل الفرقة الخاصة إلى مكان اختباء الجنرال منشار، مما أثار بين الناس الكثير من اللغو واللغط في الكلام والإشاعات والتساؤلات حول المكافأة المجزية التي سيحصل عليها الواشي؟

وكان العم سام قد رصد مبلغ خمسة وعشرين مليوناً من عملاته الصعبة لمن يقبض على الجنرال الأشول، أو يرشد إلى مخبئه، لكن لم يتقدم أحد لطلب المكافأة ساعة القبض عليه، على الرغم من أن المكان كان له دلالة ورمزية خاصة عند الجنرال الأشول، فهو أقرب نقطة من الموقع الذي عبر فيه النهر عندما شارك في أول محاولة فاشلة لاغتيال رئيس الدولة المعروف بميوله الماركسية، وأفكاره وقراراته الاشتراكية.

يقول الراوي، ما إن فتحت الفرقة الخاصة الحفرة أو الخندق حتى ارتفع صوت الجنرال عالياً: (لا تطلقوا النار.. أرجوكم لا تطلقوا النار)، فطلب منه أحد المترجمين المرافقين أن يخرج من مكمنه رافعاً يديه عالياً، وما إن أطل برأسه ولحيته التي أصبح بها شبيهاً بإنسان جاوه، الإنسان القديم، حتى جذبه اثنان من القوات

الخاصة إلى سطح الأرض، وما كاد يقف على رجليه حتى هجم عليه أحد المترجمين المرافقين للفرقة، وأخذ يكيل له الصفعات واللكمات والبصق على وجهه، إلا أن رجال الفرقة منعوه من الاستمرار في ضربه، وأبلغوا المترجم وغيره من المدنيين المرافقين بألا يمسه أحد بسوء، لأن الأوامر العليا تلزم وتطلب وجوب الإبقاء عليه وإحضاره حياً سليماً.

لاحظ الجميع أن الأشول عندما سحب من الحفرة أو الخندق كان في حالة شبه غيبوبة، لكن الأطباء المرافقين استبعدوا فكرة تناوله أدوية بكميات غير معتادة لأي سبب من الأسباب، كما أن المختصين من المرافقين استبعدوا أيضاً فكرة وجوده فترة طويلة في الخندق تحت سطح الأرض مع نقص الهواء والأوكسجين، جميع هذه الاقتراحات استبعدت، لكن أصبح شبه مؤكد أن حالة الغيبوبة التي يعانيها ربما جاءت نتيجة المواد الكيميائية والغازات المخدرة التي استخدمتها الفرقة الخاصة في رش الحقول الزراعية قبل يومين، بناء على المعلومات التي أكدها الواشي، بأن الجنرال منشار يقيم في حفرة في إحدى هذه المزارع، وكان ذلك الأقرب للمصداقية دون غيرها.

اقتيد الجنرال منشار الأشول إلى سجن (بوكا) أول الأمر، وهو معسكر إقامة المستعمر الجديد في عاصمة أم الطبول، كما

t.me/yasmeenbook

اتخذه سجناً ليكون بمثابة مسرح ساخر للاستهزاء وإذلال القيادات والشخصيات الهامة من رجالات الحكم والحزب السابقين، وفي الوقت نفسه اتخذ هذا المعسكر او السجن مدرسة لتهذيب الأخلاق السياسي، والتعليم والتدريب على أنماط جديدة من السلوك يشبع رغبات وغرور العم سام ويلاقي قبولاً عنده، ويكون أيضاً معسكراً لإعداد مخرجات من البشر مؤهلين لخدمة أسيادهم بإخلاص وتفانٍ، ويصبحون بمرور الزمن أعواناً وحلفاء تابعين.

لم يتردد المستعمر الجديد في الاستعانة بهذا السجن لأن يمارس مهام معهد ديني لإعداد وتأهيل قادة وأفواج من أطر الإسلام السياسي، أصحاب رافعي الرايات السود (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، عبارات وشعار يترددان دائماً على ألسن مخرجات هذا المعسكر أو السجن أو المدرسة أو المعهد، وخاصة عندما يقدمون على نحر مسلم آخر وهم يقتحمون مدينة أو بلدة في أية دولة عربية غالبية شعبها مسلمون، كي يدخلوا الرعب والخوف في نفوس المواطنين منذ اللحظة الأولى، دون أن تكون الضحية قد ارتكبت ذنباً أوإثماً مبيناً، أو رفضت الخنوع والخشوع لإرادتهم وإرادة العم سام.

ليس لدينا من كلمات وعبارات يمكن أن نتوج بها هذا المعهد-المعسكر سوى عبارات الخزي والعار، وهو يحتفل

بتخريج أول دفعة من مجرمي وإرهابي داعش، ونشرهم كالسهام المسمومة في أرجاء الوطن العربي.

في هذا المعسكر أو السجن أو المعهد لم يغير الأشول عاداته التي اعتادها في قصوره المرفهة، وفي مقدمتها وجبات الطعام والشراب الذي يقدم له من خلال ثلاث وجبات في اليوم، وخاصة سلة الفواكه المتنوعة الأصناف والأنواع، والمستوردة من دول أوروبية أو آسيوية، أو أفريقية، إضافة إلى سيجار كوهيبا.

لم يستمر الأشول طويلاً في هذا السجن.. عفواً المدرسة أو المعهد، وإنما اقتيد ثانية وهو مكبل اليدين والرجلين بسلاسل معتبرة كان يوماً يكبل بها الأبرياء والمناهضين لنظام حكمه، أو من لا يطيع أوامره.

وهكذا اقتيد الجنرال الأشول من مدرسة ومعهد (بوكا)، إلى معتقل (معسكر كروبر)، ليعيش وهو سجين عيشة الملوك ما تبقى له من أيام في هذه الدنيا، سواء كانت جميلة أو تعيسة فانية، ولهذا كانت جميع طلباته أوامر تلبى له في الحال، وخاصة ما يتعلق بوجبات الغذاء وسلة الفواكه وسيجار كوهيبا.

ورغم معاناته اليومية، وتحقير الجنود الحمر والمترجمين له في كل لحظة وثانية، لم ينسَ الجنرال الأشول أن يرسل رسالة خطية كتبها بيده وموجهة إلى دولة خليجية استضافت زوجته

t.me/yasmeenbook

الغجرية وأصغر بناته (حلاوة)، الأقرب إلى نفسه وقلبه، وعدد كبير من أعوانه ومساعديه، رسالة تضمنت أبياتاً شعرية كتبها بيده باللغة الفصحى، تحمل تاريخ 4 ديسمبر2005م، يقول فيها:

قطر العروبة والقطر بها عنبر
من يهبه الله عطاء لا يصغر
وجدناها آمنة وتحمي ألمنا
عند أهلها شرف لا يصغر
فاستقرت هناك في ضيافة أهلنا
والقطر سخي من مزنه ينهمر
فشكر لأهلنا هناك وأميرها
وشكراً لشعبها، شعبنا الأسمر

يخبرنا الراوي، أنه رغم المعاناة وحالة التحقير التي كان يعيشها الجنرال الأشول كل لحظة في سجنه، فإنه لم ينصرف لحظة عن حالة الشعور بالتعالي والكبرياء التي كان يعيشها في حياته، والتي كان يعبر فيها عن القوة والجبروت، وهذا ما دفعه إلى أن يكرر إلقاء إحدى قصائده المشهورة، وهي من النوع الثقيل المشبع بالتعالي والتكبر أمام رئيس المحكمة الذي سارع في الضغط على زر الإقفال الذي يمنع وصول الصوت إلى خارج

قاعة المحكمة، ومع ذلك كان هناك من تكفل بتسريب القصيدة والحوار الذي دار قبله وبعده، والتي يقول في بعض أبياتها:

لا تأسفن على غدر الزمان لطالما
رقصت على جثث الأسود كلاب
لا تحسبن برقصها تعلو على أسيادها
تبقى الأسود أسوداً والكلاب كلاب
اني أنا الرفيق أطلق لحيتي حيناً
ووجه البدر ليس يعاب
فعلام تأخذني العلوج بلحيتي
أتخيفها الأضراس والأنياب

ثم يذهب إلى القول:

والقادة العظماء حولي كلهم
يتزلفون وبعضهم حجاب
عَمان تشهد والرباط
فراجعوا قمم التحدي مالهن جواب

ويختتم قصيدته بالقول:

ثوبي الذي طرزته لوداعكم
نسجت على منواله الأثواب
إني شربت الكأس سماً ناقعاً

t.me/yasmeenbook

لتدار عند شفاهكم أكواب
أنتم أسارى عاجلاً أو آجلاً
مثلي وقد تتشابه الأسباب
والفاتحون الحمر بين جيوشكم
لقصوركم يوم الدخول كلاب

من غريب الصدف أن معتقل (معسكر كروبر)، بعد فترة من زمن الإقامة، حولت الجنرال الأشول إلى حكيم قومه، يبعث بالحكمة والنصيحة والقول الحسن لمختلف شرائح المجتمع، فتأتي ردود أفعالهم متطرفة متباينة، بين من يرثي لحاله ويتمنى له الأجل المحتوم بأسرع وقت ممكن، وبين من يسخر منه ويستهزئ به، ويتمنى له عمراً مديداً وهو بهذه الحالة وردة.

فمن بين تلك النصائح والأقوال المأثورة التي كان يرسلها إلى المواطنين الآتي:

- لكي تقود يجب أن يؤمن الناس الذين تقودهم بأنك عادل حتى ولو كنت قاسياً حينما يتطلب الأمر القسوة.
- العقاب، سواء كان عقاب القانون أو العائلة، هو خط الدفاع الأخير والحاسم، وإن حكمت فاحكم بالعدل، ولا تدخل الهوى فيما يثقل حكماً، أو يدع مجرماً لا يرجى إصلاحه يفلت من عقاب.

- اجعل عدوك دائماً أمام عينك، واسبقه ولا تدعه خلف ظهرك.
- التمرد والتحريض على الباطل يجعلان المستضعفين يشعرون بأنهم أقوياء، وكثير من الناس يردعهم الخوف فينافقون المسؤول دون اقتناع به.
- إذا قررت أن تصطرع مع عدوك، فأظهره على حقيقته كمعتمد، ولتكن الضربة الكبيرة منك، والضربة الحاسمة لك.
- إن انتماء الإنسان إلى أمته ليس حالة اختيار من اختيارات متعددة، وإنما هو اختيار ثابت وانتماء مصيري، يجد فيه الإنسان كل جذوره، ويرى فيه ماضيه وحاضره.
- لسانك موقفك فلا تهنه، ولا تكثر في وعد لا تستطيع الوفاء به، أو وعيد لا يجد ما يدعمه في قدرتك.
- لا تنجذب إلى المسارات السهلة، لأن المسارات التي تجعل قدمك تنزف هي الطريق الوحيد للمضي قدماً في الحياة.
- السياسة هي عندما تقول إنك ستفعل شيئاً بينما تنوي فعل شيء آخر، ثم لا تفعل ما قلته ولا قصدت.

ألم نقل إن السجن أحياناً قد يكون إصلاحية أو مدرسة

t.me/yasmeenbook

للمشاغبين، وتخريج دفعات من المجرمين المحبين لسفك الدماء دون تمييز بين مجرم وبريء كحال عناصر داعش وإخوانه وأخواته، وهذا ما تلقاه وتعلمه الجنرال الأشول من مبادئ في العلاقات الإنسانية في سجني (بوكا وكروبر)، اللذين أنشأهما المستعمر الجديد في دولة أم الطبول بعد احتلالها، وتخرج فيهما الأشول ليس إلى حياة جديدة، ومرحلة أخرى من حكم المظلومين، وإنما إلى منصة الإعدام، وحياة جديدة في الآخرة، إذا تيسر له.

قبل بدء المحاكمة، وتحديداً في 30 يونيو 2004م، قامت قوات الاحتلال بتسليم الجنرال منشار الأشول بطرق قانونية، مع أحد عشر مسؤولاً بارزاً في الحزب الحاكم وإدارة شؤون البلاد إلى السلطات الحاكمة المؤقتة من أجل محاكمته ومن معه في قضايا جرائم حرب، وانتهاك حقوق الإنسان، وإبادة جماعية لطوائف من الشعب لم تكن تنسجم أفكارهم ومواقفهم ومعتقداتهم معهم.

تنادى للدفاع عن الجنرال الأشول أكثر من عشرين محامياً معظمهم من أم الطبول، وآخرون من البلاد العربية، بينهم عدد من الأوروبيين الغربيين والشرقيين، وكان بين المجموعة محامية عربية شابة جميلة أصرت على الحضور والدفاع عن الجنرال، وذلك عندما قررت أسرته إبعاد هذا العدد الكبير من المحامين

الذين تطوعوا للدفاع عنه، ليس لكسب المال أو حبهم لموكلهم والإعجاب به، وإنما من أجل كسب الشهرة، والارتفاع بأسمائهم وأسماء مكاتبهم محلياً ودولياً.

شعرت الأسرة بهذا الأمر في وقت مبكر وقررت الاستعانة بمحام محلي من أبناء البلد يدعى خليل الديلماني، ومحامية عربية قادمة من سهول لامارتين في بلد السياحة والجمال تدعى ريما الحبيب، وذلك نزولاً عند رغبة الجنرال منشار الأشول، الذي بدا أن هناك ثمة علاقة ومعرفة سابقة بينهما، دون أن يعلم الآخـرون، ورغم محاولات أفراد أسرته بشتى الطرق إقناعه لإبعاد هذه المخلوقة عن ساحة المحكمة، والاكتفاء بمحام واحد يعرفون مشاعره وإخلاصه وولاءه للأسرة وللرفيق منشار ولنظام الحكم، وأنه يتمتع بمركز متقدم في سلك المحامين على المستوى المحلي والإقليمي، لكنهم تراجعوا في النهاية أمام إصرار صاحب الشأن.

حددت المحكمة الجنائية التي شُكلت لهذا الغرض برئاسة أحد القضاة يدعى رشيد رؤوف خلقان من شمال البلاد يوم 19 أكتوبر 2005م، موعداً لعقد أولى جلسات المحكمة، حيث قدم الادعاء العام بداية الجلسة مرافعة ذات تقنية عالية، وبصوت جهوري شد انتباه القاعة، خاصة عندما قدم قائمة بأسماء الضحايا

t.me/yasmeenbook

الأبرياء خلال فترة حكمه، وبأمر مباشر منه أو بسلاحه الشخصي الذي لا يفارقه.

مرافعة أنهاها الادعاء العام بتوجيه تهمة القتل العشوائي والمتعمد التي كان يأمر بها المتهم، ونالت حياة حوالي مئة وخمسين شخصاً من إحدى البلدات التي تسكنها غالبية شيعية، إثر محاولة اغتيال فاشلة تعرض له موكبه يوم 8 يوليو 1982م.

لاحظ المراقبون الإعلاميون من خلال جلسات المحاكمة، أن المحامية العربية ريما الحبيب تحاول بكل وسيلة وأخرى متاحة امتلاك ساحة المحكمة من خلال الظهور بسرعة هائلة وبصورة فجائية في واجهة كل جلسة لأمر غريب، ربما كانت تريد إبداء حيوية ونشاطاً استثنائياً في الدفاع عن موكلها، خلافاً من ابن البلد المحامي خلي الدليماني، الذي كان يميل إلى الهدوء داخل قاعة المحكمة.

وهنا تروي لنا المحامية العربية ريما الحبيب حكايتها مع المواقف المثيرة التي كانت تحاول إشعالها في قاعة المحكمة، وخاصة في مواجهة القاضي رشيد رؤوف خلقان.

تقول المحامية الحبيب: «وفي جلسة تالية أراد القاضي إخراجي من قاعة المحكمة، صارخاً في وجهي: (أنتِ تثيرين الفوضى)، فطلبت منه بكل هدوء طرح سؤال، فوافق المدعي

العام، هنا رفعت صورة ما فعله جنود العم سام بمواطنين في معتقل باستيل العرب، ووجهت سؤالاً للقاضي، لماذا لم تلاحق محكمتك من ارتكبوا هذه الجرائم بحق المواطنين؟ بعدها رفعت الصورة باتجاه عدسات وسائل الإعلام لتوثيق الصورة خوفاً من أن تجتزأ هذه اللحظات من فيديو المحاكمة، ويخفون ما حدث داخل القاعة عن العالم».

وتستمر المحامية الحبيب الثائرة في موقفها ودفاعها عن موكلها لسبب مجهول، خلافاً لموضوع الأتعاب المالية، أو الظهور الإعلامي أمام عدسات المصورين في مشهد مثير وهي تقول: «خرجت من قاعة المحكمة إلى غرفة استراحة المحامين المزودة بشاشة تظهر ما بداخل القاعة، ورأيت القاضي رشيد يقول: (هذا جنون اللي صار)، فصاح موكلي منشار بأعلى صوته (هايدي فوق راسك)، فاعتبرت هذه الجملة للتاريخ، ووقوفي بجانبه في المحكمة من أهم الصفحات في حياتي المهنية كعربية».

لم تستسلم المحامية ريما الحبيب لصيحات رئيس المحكمة كما تقول، وهو يكرر عبارة وجودها في القاعة يعتبر عنصر اضطراب، وللتذكير تعود بنا ريما الحبيب إلى الجلسة الأولى قائلة: «عند حضوري أول جلسة للمحكمة اندهشت من وجود عدد من ضباط العم سام الحمر داخل القاعة، مما أثار هرمون الغضب لدي، فأعلنت احتجاجي واعتراضي الشديدين على

t.me/yasmeenbook

وجودهم في القاعة، لأن هذا الوجود وحده كفيل أن يبطل أي قرار يصدره القضاة، بل ويؤثر في مجريات الجلسة، الأمر الذي أغضب القاضي فصرخ موجهاً حديثه لي للمرة الثانية بأني أثير الفوضى، وإذا كررت هذا ثانية فإنه سيخرجني من القاعة».

وتضيف المحامية الجميلة على ما فات قائلة: «غضب القاضي أسعدني، لأن غضبه اعتداء على الدفاع، واعتداء على المتهم، واعتداء عليَّ شخصياً عندما قال إن اسمي لا يبشر بخير».

خفضت من نبرة صوتي وقلت له بهدوء: «رئاستكم الكريمة سيدي تهددني بإخراجي من القاعة لماذا؟ أنا أستعمل حقي بالدفاع عن موكلي، ورئاستكم أفادت أنه لا يوجد ضباط من طرف العم سام في القاعة، وأنا قلت يوجد، نعم هؤلاء الحمر وأشرت إليهم، وهنا حل الصمت لحظات داخل القاعة».

سارع زميلها المحامي خليل الديلماني واستلم الدور في الدفاع عن موكله، مؤكداً من جديد ما ذهبت إليه زميلته ريما الحبيب، فكان له موقف مثير أيضاً يشد الانتباه، لكن ليس بجرأة وقدرة المحامية العربية المثيرة لغضب رئيس المحكمة في كل جلسة، لذلك دعونا قليلاً مع المحامية العربية القادمة من سهول لامرتين، والتي كشفت النقاب عن بعض تفاصيل محاكمة موكلها الجنرال منشار الأشول، وشيء من أسرار حواراته الجانبية معها.

وها هي المحامية الجميلة تخبرنا شيئاً عن أسرار كواليس المحكمة فتقول: «كانت هناك محاولة من العم سام وفرقته الخاصة لتحطيم معنويات وثقة موكلي وكسره أمام الرأي العام العربي، ليكون عبرة لكل رئيس وحاكم يمانع ويناهض سياسته في الشرق الأوسط، إلا أن هذه المحاولات لم تؤثر في صلابة مواقف موكلي، بل وفرض هيبته على ساحة المحكمة».

ثم أوضحت أمراً آخر تقول فيه: «كان ضباط العم سام، وكل فرد داخل قاعة المحكمة يتحركون على وقع حركة موكلي، إذ كان لحظة دخوله القاعة يقف جميع الحضور احتراماً وإجلالاً له، فيصرخ فيهم القاضي، لماذا تقفون؟ إنه متهم، ولم يكن أحد يرد عليه، الأمر الذي أدى إلى إصداره أوامره لحراس وحجاب المحكمة بإدخال موكلي ومن معه من المتهمين إلى القاعة أولاً، ثم السماح بدخول البقية بعدهم».

وأخيراً تخبرنا المحامية الباحثة عن المجد كما يقول بعض المقربين: «كنت أجلس مع موكلي على انفراد بضع ساعات قبل جلسات المحاكمة، وفي أحد هذه اللقاءات قلت له: سيادة الرئيس المحكمة مفصلة على الإعدام».

أجابني مبتسماً: «أنا أعلم الحكم وما يهمني، يهمني حكم الشعب، أنا محكوم عليَّ بالإعدام منذ أن كان عمري سبعة عشر عاماً، والبقية من هذا العمر كله عشته زيادة».

t.me/yasmeenbook

لا شك أن جميع المحامين الذين تقدموا للدفاع عن الجنرال منشار الأشول كانوا يطمحون للوصول إلى مجد شخصي، وكسب شهرة وسمعة إعلامية لمكاتبهم ومؤسساتهم الحقوقية حتى اللحظة التي صدر فيها بيان عن أسرة المتهم بأنها قررت استبعاد جميع المحامين، والاكتفاء بمحام واحد من أبناء البلد ومحامية عربية.

تبين في النهاية أن المحامي ابن البلد والمحامية العربية لم يكونا أقل طموحاً في السعي لكسب وتحقيق هذا المجد الشخصي، والدليل اتصال الاثنين المباشر يومياً بوسائل الإعلام العربية والأجنبية المواكبة والمتابعة لجلسات المحكمة، وإحاطتهم علماً بكل الوسائل المتاحة لمعرفة ما يدور في قاعة الجلسات، أو اللجوء إلى إصدار النشرات والكتيبات عن المتهم وقوته الشخصية ومعنوياته العالية، وهو يواجه هيئة المحكمة ورئيسها.

لم يكن المحامي ابن البلد خليل الديلماني أقل طموحاً من زميلته ريما الحبيب في تحقيق هذا المجد الشخصي، فقد سعى إلى نشر كل شاردة وواردة عن موكله، وكل ما لديه من أسرار شخصية تلمع صورته أمام العالم، بدءاً مما دار في الجلسة الأولى للمحاكمة حتى ساعة إعدامه، الذي اعتبره مقتولاً وشهيداً في سبيل

الوطن، وكيف التقاه أكثر من مئتين مرة، وكيف تعرض شخصياً لأكثر من ثلاث عشرة محاولة اغتيال، مما جعله يفر من بلده إلى دولة الجوار الهاشمية، ليقضي فيها بقية حياته لاجئاً سياسياً.

أشارت المحامية العربية الجميلة في آخر لقاء لها مع موكلها بأنها سبق أن أخبرته بأن قرار الإعدام آتٍ عن قريب، فتقبل الخبر كما في المرة الأولى برحابة صدر، وأخبرها بأنه كان ينتظره قبل نصف قرن من الزمان، وأنها جاءت متأخرة.

لذا، كما تقول المحامية الجميلة لم يهتز موكلها ولم ينهر عند سماع الخبر، بل وقف صلباً عندما أبلغه بعض ضباط الفرقة الخاصة، بأن موعد إعدامه قد تقرر بعد صدور حكم المحكمة، وأنه سيكون فجر يوم عيد الأضحى الموافق 30 ديسمبر2006م فطلب تسليم حاجياته الشخصية لكريمته الكبرى، وأن يبلغوها بأنه في طريقه إلى الجنة للقاء ربه بضمير مرتاح ويد نظيفة، وأنه يتطلع إلى هذا اللقاء بصفته جندياً ضحى بنفسه وعائلته من أجل بلده وشعبه.

وقبل إعدامه بلحظات سأله الضابط المختص من الفرقة الخاصة عن آخر طلب، قال أريد المعطف الذي كنت أرتديه، قال له الضابط: «طلبك مستجاب، ولكن أخبرني لماذا؟».

أجابه منشار: «الجو في أم الطبول عند الفجر يكون بارداً، ولا أريد أن أرتجف من البرد، فيعتقد شعبي أن قائدهم يرتجف من الموت».

t.me/yasmeenbook

هكذا أسدل الستار على حدث كبير شغل الوسط العربي والعالمي عقوداً من الزمن، وفي لحظة تنفيذ حكم الإعدام، لوحظ أنه لم يبد على ملامح الجنرال منشار الأشول أية انفعالات أو علامات رهبة وخوف وتوتر، كحال المحكومين عليهم عادة لحظة الإعدام، كما لم يقاوم أو يتصدى للرجال الملثمين الذين يقتادونه نحو حبل المشنقة لحظة الإعدام، مثلما رفض وضع غطاء أسود على الرأس والوجه قبل عملية الإعدام، وبينما كان وثاق الحبل يُشد على عنقه قبل إعدامه بلحظات كان الأشول يردد كلمة (يا الله.. يا الله.. يا الله)، فيردد معه بعض الحضور الدعاء الرباني، ويضيفون إليه عبارة تقول: (عجل فرجهم والعن عدوهم)، وكان الأشول يرد عليهم بالعامية: (هي هاي المشنقة.. مشنقة العار؟؟)، بينما كان أحد الحضور يقاطعه بأعلى صوته: (إلى جهنم وبئس المصير).

كان الرفيق الجنرال الأشول لحظتئذ قد بدأ بتلاوة الشهادتين: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله)، وما إن حاول تكرار الشهادتين، وقبل أن يكمل الشطر الثاني منها، سمع صوت مدو هوى معه جسد الأشول، واختفى في فتحة تحت قدميه، وهنا تعالت أصوات بعض الحضور: (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد)، وسارع أحدهم صائحاً

t.me/yasmeenbook

(سقط الطاغية) الذي لا يمثل أي فئة أو طائفة أو أي مكون من مكونات الشعب، وإنه لا يمثل إلا نفسه الشريرة.

وهكذا انتهت أسطورة الرفيق الجنرال منشار بن بتار الأشول، حامي البوابة الشرقية للأمة العربية من الفرس المجوس.. نهاية مأساوية، فقد فيه الأشول الذات المتعالية في أبشع صورة أمام العالم، وانهار نظامه وحركته الفكرية والسياسية والحزبية بجميع قياداتها وأطرها وزعاماتها على المستوى العربي، وليس على المستوى القطري فحسب، كما فقد الأسرة عن بكرة أبيها بين قتيل وشريد وتائه ولاجئ في دهاليز الحياة، والسبب العنجهية المفرطة، والتعالي والطغيان المستبد، وقتل النفس البريئة أفراداً وجماعات لأتفه الأسباب.

إنه طريق الشر والعقاب، ونهايته الموت الذي لا يتمناه أي إنسان في الحياة، إلا أن الأشول اختارها بنفس راضية، فاستحق العقاب المناسب، لكن يظل السؤال المُلح قائماً، ما هي تداعيات هذا السقوط؟ هل أصبح الطريق بعدها سالكاً أمام المستعمر الجديد العم سام لبسط نفوذه على الشرق الأوسط بدعم ومساندة ربيبته العبرية الصهيونية ضمن معادلة جديدة سيشهدها الكون في العقود القادمة، إثر المواجهات الساخنة على أرض دولة كانت فيما مضى جزءاً من المنظومة الاشتراكية، وخرجت عن طوعها وانضمت إلى ركب العم سام وأعوانه وحلفائه؟

t.me/yasmeenbook

ولما كان الشرق الأوسط منطقة ساخنة على الدوام، تتناغم سريعاً مع الأحداث الساخنة في العالم تلقائياً، فهل يمكن للمرء أن يتساءل، أين موقع العالم العربي من هذه الأحداث الخطيرة المستجدة في عالم اليوم؟ وهل سيسير العرب في فلك المستعمر الجديد وخططه الاحتوائية التي تلعب الابنة العبرية المدللة الدور القائد الميداني فيها؟ أم سينفجر في العالم العربي نظام تقدمي ليبرالي يقود الأمة إلى العالمية؟ ما علينا إلا أن نتابع الأجزاء المتبقية من الرواية.

t.me/yasmeenbook

9

الاستعمار الجديد يمزق العالم العربي

يقول الراوي، ما إن شنق الجنرال منشار بن بتار الأشول ورحل عن الدنيا، حتى خلا الجو للمستعمر الجديد العم سام، ليسرح ويمرح ويفعل ما يشاء في هذا البلد العربي المزدحم بالخيرات الزراعية والحيوانية والمعادن بمختلف أنواعها، وخامات الطاقة والصناعة، بلد الحضارات المتعددة الجذور في عمق التاريخ، بعد أن وضع يده على كامل ترابه الوطني، ووجد من يعينه في شمال البلاد من الجنس الآري، بدعم من دول عربية حليفة على تحقيق أهدافه وخططه الاستعمارية بالسرعة المطلوبة.

وهنا يقودنا ناجي الوسيم إلى مقارنة سياسية أدبية عجيبة بين رحيل الجنرال منشار الأشول، وقصيدة قالها الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد قبل قرون من الزمن في إحدى المناسبات، وهي مناسبة تشبه إلى حد بعيد كارثة رحيل الأشول على يد المستعمر الجديد العم سام الذي كان يرى فيه عائقاً كبيراً أمام تمدده كيفما

t.me/yasmeenbook

يشاء في العالم العربي، فأزاحه عن طريقه ليخلي له الجو فيسرح ويمرح كما يريد.. قصيدة يقول الشاعر في بعض أبياتها:

يا لك من قُبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئتِ أن تنقري
قد ذهب الصياد عنك فابشري
ورفع الفخ فماذا تحذري
لا بد من صيدك يوماً فاصبري

صدق الشاعر الجاهلي سفيان بن ثعلبة، الملقب بالشاعر طرفة بن العبد، قبل أكثر من أربعمئة وستين عاماً ميلادياً من سقوط أم الطبول، وشنق الجنرال منشار الأشول، حيث خلا بعدها الجو والساحة أمام العم سام، فأخذ ينعق كنعيق البوم في أرجاء الوطن العربي، وبدأ ينقر أينما يريد أن ينقر، طالما رحل الصياد المزعج، كما أخذ ينشر أعوانه وحلفاءه كالأفعى الشبكية التي تضع أكثر من ثمانين بيضة في المرة الواحدة، وتنفث سموماً على امتداد الكرة الأرضية.

يقول الشاعر طرفة بن العبد في قصيدته الشهيرة: (ونقري ما شئتِ أن تنقري)، نعم لقد أصبح من حق العم سام أن يكون

له موضع قدم في أية بقعة يرغب فيها في العالم العربي، فالصياد الذي كان يتعقب خطواته ويعيقه ويفضحه بنية حسنة أحياناً، وبنية سيئة أحياناً أخرى في أية خطوة يقدم عليها، قد ذهب مع الريح وأصبح في خبر كان، مما أتاح له الفرصة أن يضع بيضه في أي عش لا يخصه، وأن ينعق كما يشاء طوال الوقت ويصم آذان شعوب المنطقة، فهذا من حقه طالما هو العم سام راعي هؤلاء الشعوب ومصالحها، بل إنه يستطيع أن ينقر على أبوابهم متى شاء، سواء في منتصف الليالي أو عند ساعات الفجر.

صحيح أن الصياد المؤذي قد رحل، وأن الفِخاخ التي كان ينصبها للعم سام بين حين وآخر كعوائق وتحرش صبياني، رفعها الأعوان والحلفاء العرب وأزاحوها عن طريقه إلى الأبد، لكن عليه أن يكون حذراً، ويثق تماماً بأنه لن يفلت في المرة القادمة من يد صياد عربي قوي محنك مخلص لأمته قبل وطنه الأم، وأن المسألة لن تعدو سوى مسألة وقت.

يعود بنا ناجي الوسيم بكل إصرار إلى الوراء ليذكرنا ويحملنا مسؤولية أخطائنا وسوء اختيارنا لمن يمثلوننا أو يحكموننا، وعدم قدرتنا نحن أيضاً على مقاومة من يفرض نفسه علينا بشكل أو آخر كحال الجنرال منشار الأشول، بكل ما كان يحمله من مساوئ وعلات، وكأننا قطيع من الماشية والأغنام التي كان يرعاها في

t.me/yasmeenbook

المراعي والوديان في بداية حياته المهنية، لكنه استطاع من هذا الموقع المتدني أن يقفز إلى سدة الحكم، فحسده أو أعجب به من كان يعرفه في طفولته وشبابه المبكر كراعي أغنام، لكنه لم يكن يعلم بأن الصبي منشار ظل في قرارة نفسه ذلك الصبي الراعي للماشية والأغنام، صبياً مطيعاً للعم سام، يقدم له خدمات جليلة منذ أن شارك في أول انقلاب فاشل، وأصبح لاجئاً سياسياً في دولة برنس، واستمر في تقديم هذه الخدمات له حتى ساعة إعدامه شنقاً على يد من خدمه وضحى بحياته من أجله، خدمات لم يقدمها من قبل أخطر وأنشط عملاء تعاملوا مع الدوائر الاستخبارية العالمية، فقد مهد الطريق أمام المستعمر الجديد كي يسود العالم العربي، وينطلق بعدها في تنفيذ خططه واستراتيجيته المدمرة في الشرق الأوسط.

كان ذلك آخر خدمة قدمها الرفيق الجنرال منشار الأشول لمن تولوا برمجته طوال فترة عمله قرابة نصف قرن من الزمن، نصفها كان حاكماً أوحد لأم الطبول، وأميناً عاماً قطرياً أوحد لحزب الانبعاث العربي، وقائداً أعلى أوحد للقوات المسلحة، كانت المكافأة التي قدمها له العم سام على أعماله الجليلة كنهاية خدمة أنه أوصله إلى حبل المشنقة، وأسدل الستار على فترة حكمه المضطرب.

t.me/yasmeenbook

كانت فترة حكمه أقسى فترة حكم مرت بها أم الطبول، لكنها بشهادة عامة الشعب لم تكن في جميع الأحوال أقل قساوة وشراسة من فترة حكم أبو القيمر، الحاكم العسكري - المدني الذي عينه العم سام حاكماً على أم الطبول، والذي ظلت آثار هذا الحكم المدمر منقوشة في جباه كل مواطن من أبناء أم الطبول، وذكرياتها المؤلمة لا تزال تخنق أنفاس الشعب، وتداعياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية المؤلمة، هي الأخرى أكبر شاهد عيان أمام كل زائر لأم الطبول، وهي باقية إلى اليوم والغد، هذه الدولة التي كانت في عداد أثرياء دول العالم، أصبحت اليوم تلامس خط الفقر!!

رغم هذه المصائب، فإن العم سام كمستعمر جديد لم يترك أم الطبول في حال سبيلها، بل أكد وجوده في كل لحظة وثانية على أرضها من خلال قواعده العسكرية التي تجاوز عددها الخمس عشرة قاعدة مزودة بمختلف أنواع السلاح، وفي مقدمتها سلاح الدمار الشامل الذي دخل بسببها أم الطبول وغير النظام السياسي فيها، إضافة إلى جملة من المستشارين المتنوعي المهام، وجواسيس واستخباريين متعددي الجنسيات.

يبدو أن العم سام لن يترك أم الطبول في المستقبل إلا من خلال مواجهة عسكرية، ووفق المنطق والأسلوب الذي دخل به

t.me/yasmeenbook

المنطقة، فهل يتمكن شعب أم الطبول من طرد المستعمر الجديد، وإنهاء قواعده العسكرية مهما تعددت، ومسح وجوده على أرض الوطن، تنفيذاً لقرار مجلس الشعب الذي اتخذ بالإجماع؟

يبدو أن الأمر ليس بتلك السهولة التي قد يتصورها بعض السياسيين والمحللين العرب المتحمسين والداعين لرحيل المستعمر الجديد عن أرض العرب، فمبدأ تقسيم النفوذ عند الكبار الذي ولى عهده، لا يزال له بقية باقية من آثاره إلى اليوم، آثار تؤكد أن الشرق الأوسط منطقة خاصة بالعم سام، وجزء من أمنه القومي بسبب وجود الابنة العبرية المدللة المحتلة لأرض عربية، والمهددة في كل لحظة بالزوال على يد العرب الذين لا يرحمون أبناء عمومتهم، ما جعل الكثيرين من اليهود والصهاينة يفضلون العودة ثانية إلى ديارهم ومحل إقاماتهم السابقة، ضماناً لأمنهم وسلامتهم وراحة بالهم.

افتتاحية تعود إلى مطلع سبتمبر2016م كتبها الصحفي الإسرائيلي (آري شبيت) في صحيفة (هآرتس) الصهيونية تحت عنوان (لا أيأس)، ثم أعيد نشرها بعد ترجمتها بالإنجليزية تزامناً مع الأحداث الدامية التي شهدتها القدس في أبريل 2022م تحت عنوان (إسرائيل تلفظ أنفاسها الأخيرة)، وبصورة غير معتادة، ورغم ذلك فإن الافتتاحية تستحق الإشارة إليها، لتوضيح صورة

الواقع المعيش في الكيان الصهيوني، ومدى قلق الصهاينة حيال وجودهم وسط أمواج عاتية من الفلسطينيين المسلحين المقاومين.

يقول آري شبيت في افتتاحيته لا أيأس، أو إسرائيل تلفظ أنفاسها الأخيرة، كلاهما يؤديان المعنى نفسه في المحصلة النهائية: «يبدو أننا نواجه أصعب شعب عرفه التاريخ، ولا حل معهم سوى الاعتراف بحقوقهم وإنهاء الاحتلال».

ثم يضيف الكاتب: «يبدو أننا اجتزنا نقطة اللاعودة، وأنه لم يعد بإمكان إسرائيل إنهاء الاحتلال ووقف الاستيطان، وتحقيق السلام، كما لم يعد بالإمكان إعادة إصلاح الصهيونية وإنقاذ الديمقراطية، وتقسيم الناس في هذه الدولة».

وفي السياق نفسه يقول الكاتب الإسرائيلي: «إذا كان الوضع كذلك، فإنه لا طعم للعيش في هذه البلاد، وليس هناك طعم للكتابة والقراءة في (هآرتس)، بجب الأخذ بما اقترحه (روغل ألفر) قبل عامين، وهو يغادر البلاد، إذا كانت الإسرائيلية واليهودية ليستا عاملاً حيوياً في الهوية، وإذا كان هناك جواز سفر أجنبي لدى كل مواطن إسرائيلي ليس فقط بالمعنى التقني، بل بالمعنى النفسي أيضاً، فقد انتهى الأمر ويجب توديع الأصدقاء والانتقال إلى سان فرانسيسكو أو برلين أو باريس».

ويضيف آري شبيت: «من هنا، من بلاد القومية المتطرفة،

t.me/yasmeenbook

يجب النظر بهدوء ومشاهدة دولة إسرائيل وهي تلفظ أنفاسها، يجب أن نخطو ثلاث خطوات إلى الوراء، لنشاهد الدولة اليهودية الديمقراطية وهي تغرق، يمكن أن تكون المسألة لم تتضح بعد، ويمكن أننا لم نجتز نقطة اللاعودة بعد، ويمكن أنه مازال بالإمكان إنهاء الاحتلال ووقف الاستيطان، وإعادة إصلاح الصهيونية، وإنقاذ الديمقراطية وتقسيم البلاد».

وفي موقع آخر من الافتتاحية يستنجد الكاتب الإسرائيلي آري شبيت بعلماء الآثار الغربيين واليهود، ومن أشهرهم (إسرائيل فلنتشتاين) من جامعة تل أبيب، الذين أكدوا: «أن هيكل سليمان حكاية من حكايات الأولين، وليس له وجود في واقعنا المعيش، وقد أثبتت جميع الحفريات أن هذه الحكاية باتت اليوم في عالم النسيان، إن لم يكن منذ قرون من الزمن، وقد ورد ذلك صراحة في عدد كبير من المراجع اليهودية، وكثير من علماء الآثار الغربيين أكدوا ذلك، وكان آخرهم عام 1968م، عالمة الآثار البريطانية الدكتورة كاثلين كينيون، عندما كانت مديرة للحفائر في المدرسة البريطانية للآثار بالقدس، فقد قامت بأعمال حفريات هناك، لكنها طردت من إسرائيل بسبب فضحها للأساطير الإسرائيلية، حول وجود هيكل سليمان أسفل المسجد الأقصى، رافضة هذه الادعـاءات، وأن ما يسميه الإسرائيليون (مبنى اسطبلات

سليمان)، ليس له علاقة بسليمان ولا بإسطبلاته أصلاً، بل هو نموذج معماري لقصر شائع البناء في عدة مناطق في إسرائيل، علماً بأن كائلين كينيون جاءت من قبل جمعية صندوق استكشاف فلسطين، لغرض توضيح ما جاء في الروايات التوراتية».

وفي موقع آخر من الافتتاحية يشدد الكاتب آري شبيت على القول: «إن لعنة الفلسطينيين تلاحق الإسرائيليين، ويوماً بعد يوم تصفعهم وتنال منهم في شكل سكين بيد مقدسي أو خليلي أو نابلسي، أو بحجر من جامعي الحجر، أو سائق حافلة من يافا أو حيفا أو عكا».

ويختتم الكاتب الصحفي الإسرائيلي آري شبيت افتتاحيته قائلاً: «يبدو أننا نواجه أصعب شعب عرفه التاريخ، ولا حل معهم سوى الاعتراف بحقوقهم وإنهاء الاحتلال».

يخترق ناجي الوسيم فكرنا بمداخلة سريعة تعليقاً على ما ذهب إليه الكاتب الصحفي الإسرائيلي آري شبيت، سواء في مطلع سبتمبر2016م، أو ما نقل عما كتبه وأعيد صياغته في أبريل 2022م من العربية إلى الإنجليزية ومن ثم إلى العربية.

يقول ناجي في تعليقه: «أمامنا شاهد من البيت الصهيوني، سواء ما كتبه صحيحاً في النسختين، أو من سعى إلى تضليل القارئ في النسخة الثانية، فهذا شعور وإحساس كل صهيوني

t.me/yasmeenbook

ويهودي قدِم من الشتات إلى أرض فلسطين العربية، وهو شعور بأن هذه الأرض ليست أرضه، والبيت ليس بيته، والهواء الذي يستنشقه كل صباح ومساء ليس هواءه، والشمس التي يتمتع بدفئها ونورها ليست شمسه التي اعتادها، يعلم جيداً أنها جميعاً مغتصبة بالحديد والنار منذ اللحظة التي اغتصبوا فيها أرض فلسطين، وهذا ليس نهاية المطاف طالما المستعمر الجديد، السند القوي الأمين ملتزم بأمن هذا الكيان وبقائه في المنطقة، والسماح له بالتوسع على حساب الأراضي العربية، طمعاً في تحقيق دولته الكبرى، فإن هذا الكيان سوف يستمر يقاوم من أجل استمرار وجوده في المنطقة حتى الرمق الأخير، وعلى المقاومة الفلسطينية أن تستمر في نضالها حتى لو أجبرت على تقديم أكثر من مليون شهيد في سبيل تحرير الوطن».

صحيح سقوط أم الطبول بيد المستعمر الجديد العم سام عقد الأمور في المنطقة، هذا الاحتلال الذي مر عليه الآن أكثر من عقدين من الزمن، ولا يزال المستعمر هو الحاكم الفعلي الناهي والآمر في هذا القطر العربي الحيوي الهام في المنظومة العربية، رغم قرار برلمانه الصادر في 5 يناير 2020م، إلزام الحكومة الوطنية العمل على إنهاء وجود أي قوات أجنبية على أرض الوطن، في خطوة لفك القيد ليس عن رقاب شعب أم الطبول، وإنما فكها

عن رقاب جميع الشعوب العربية التي أصبحت إرادتها مكبلة منذ لحظة احتلال هذه الدولة العربية المركزية، السند القوي للقضية الفلسطينية.

يؤكد الراوي وهو مصيب في روايته وقراءته لمستقبل العالم العربي وإقليم الشرق الأوسط برمته، بأنه أصبح عالماً فاقد الإرادة والقوة والأمل في المستقبل، وما سقوط دول عربية واحدة تلو الأخرى ضحايا على مذبح الهيكل الصهيوني المزعوم والمفقود إلا علامة واضحة على الضعف والوهن العربي، وما السعي والهرولة إلى التطبيع مع الكيان الصهيوني إلا حالة هروب من الواقع المخزي الذي يعيشه حوالي أربعمئة وخمسين مليون إنسان عربي على هذه البقعة من الأرض التي يطلق عليها في الخارطة الدولية (الشرق الأوسط).

فلنتابع المسيرة العربية المخجلة والمذلة تحت سيف العم سام المسلط على رقاب العرب، وإجبارهم على قبول أبناء العمومة على علاتهم ومصائبهم التي ابتلوا بها منذ اليوم الذي رمى أدولف هتلر بأجساد بعض أخوتهم في الأفران كما يدعون!!

فأين سيلقي العم سام بأجساد العرب في المستقبل؟ إذا لم يسارعوا إلى طرده وربيبته اللعوب خارج الحدود الدولية لمنطقة الشرق الأوسط، وإلا فإن مشروع التقسيم والتجزئة قادم إلى

t.me/yasmeenbook

المنطقة، وعلى الأمة العربية السلام، طالما ليس هناك قائد عربي وطني قوي أمين، غيور على أمته مخلص يقود المسيرة، فإن ظاهرة الضعف والوهن سوف تتفاقم وستزداد انتشاراً، مما سيجعل الشعوب العربية تعيش حالة من الضياع في أوطانها، حيث أخذ قادة البعض منهم تسليم هذه الشعوب للكيان الصهيوني برحابة صدر وعشق وغرام، للمشاركة في إدارة شؤونها تحت مفهوم التطبيع والأمن والسلام الأخوي بين أبناء العمومة.

t.me/yasmeenbook

10

المستعمر الجديد يباشر تشريح جسد الأمة

يقول الراوي، إن ابتعاد القطب الأحمر عن واقع ما يجري في الشرق الأوسط بسبب انشغاله بمشاكل بين بلاده وأحد جيرانه الصهاينة الذين فتحوا حدود بلادهم أمام من هم أكبر منهم حجماً وقدرة وإمكانية اقتصادية وعسكرية وعلمية ليتدخلوا في مفاصل دولتهم، ويقيموا فيها معاملهم الكيميائية والبيولوجية والذرية، والتي باتت تشكل تهديداً واضحاً وصريحاً لدولة القطب الأحمر، الذي استنفر بدوره قطاعاته العسكرية واجتاز حدود هذه الدولة المغامرة بوجودها ومستقبلها، لينكشف المستور بأكبر وأضخم مؤامرة دولية برعاية العم سام فيه دمار العالم.

ورغم المحاولات الخجولة من العم سام، وممارسة الشيطنة السياسية من قبل بعض حلفائه الغربيين، وبدعم ومساندة تنظيمهم العسكري الجماعي الذي يطلق عليه اسم (الناتو)، فإن الأمر لم

t.me/yasmeenbook

يجد في التستر على أعمال إجرامية على المدى البعيد، فالمستور الذي يحمل في ثناياه تدمير الكرة الأرضية وفناء البشرية انكشف أمره، وهذا ما جعل القطب الأحمر يبتعد قليلاً عن الأصدقاء في منطقة الشرق الأوسط مؤقتاً، وهذا ما جعل العم سام يبدأ بالنعيق والتنقير ويضع بيضه طوال الوقت في كل ركن من أركان الشرق الأوسط.

لا شك أن ابتعاد القطب الأحمر عن الأوضاع المشتعلة في الشرق الأوسط، جعل العم سام يسارع في تنفيذ مخططه الاستعماري الذي يحمل شعار (فرق تسُد)، حيث وجد ضالته في إقليم شمال أم الطبول الذي يسكنه قوم مختلفون عن العرب، جنساً ولغة وقومية وثقافة، ولا يكنون الودَّ للعرب، مثلما يرى العرب أنهم قوم متخلفون، بسطاء في حياتهم، سهل قيادتهم من قبل العم سام أو غيره من المستعمرين الجدد.

تمتد أراضي هؤلاء القوم من شمال أم الطبول إلى داخل بلاد الشام وبلاد فارس وبلاد العثمانيين، وهم يتطلعون منذ أمد بعيد إلى إقامة وطن قومي لهم على هذا الشريط الحدودي الذي يضم أربع دول قوية، بينهم بطبيعة الحال أم الطبول التي تشغلهم بالتهديد والوعيد تارة، وبحكومة لا مركزية محدودة الصلاحية تارة أخرى، كما كانت تختار رئيس دولة أم الطبول من هذا الوسط

لقطع الطريق أمام مطالبهم بدولة مستقلة، وإشعارهم على الدوام بأن أم الطبول بكاملها دولتهم وتحت رئاستهم.

ومن البعد السياسي ينقلنا الراوي إلى الحديث بشيء من الإيجاز عن الطبيعة الجغرافية والجيوسياسية للشريط الشمالي، وطبيعة القوم أو الأقوام الذين يسكنونه، فيقول: «هم سكان مناطق جبلية تمتد من دولة أم الطبول، وتعبر بمحاذاة الدولة العثمانية، ودولة الشام، فبلاد فارس وأرمينيا، ويراوح عددهم سكانياً ما بين عشرين وثلاثين مليون نسمة، ويعدون رابع مجموعة عرقية في الشرق الأوسط، ورغم ذلك لم يتمتعوا يوماً بدولة مستقلة، فهم قوم محاربون من الجميع بكل الصور والمواجهات المختلفة، فأم الطبول تسايسهم بالحكم الذاتي المحدود، واختيار رئيس الدولة من بين أوساطهم، بينما الدولة العثمانية والدولة الفارسية تواجهانهم بالحديد والنار، رغم أنهم بسطاء يعيشون على الرعي في سهول ما بين النهرين وفي المناطق الجبلية، ويشكلون مجموعة عرقية متميزة تجمعهم ثقافة ولغة واحدة، لكنهم متفرقون ينتمون إلى مجاميع مختلفة من حيث العقائد والديانات، وإن كان أكثرهم مسلمين، إنه وضع غريب، وتركيبة سكانية بدائية في معظم الشرائح، ورغم ذلك يمتلكون قوة من الإصرار على المطالبة بدولة مستقلة».

في مطلع القرن العشرين بدأ هؤلاء القوم يفكرون وبحماسة

t.me/yasmeenbook

شديدة في إقامة وطن قومي مستقل، فسارع الحلفاء الغربيون المنتصرون في الحرب العالمية الأولى في تقديم تصور لدولتهم، لكن تحطمت آمالهم إثر تخطيط حدود الدولة العثمانية في معاهدة لوزان بشكل لا يسمح بإقامة دولة للشماليين على حدود الدولة العثمانية، ومنذ ذلك التاريخ كانت الدول الثلاث المحيطة تسحق أية محاولة لتأسيس دولة مستقلة للشماليين.

وهنا يستلم ناجي الوسيم خيوط الحديث والتعليق على الراوي ويخبرنا قائلاً: «كانت للشماليين محاولات لإقامة دولتهم إثر المشروع الاستعماري (الربيع العربي)، وحالة الفوضى التي صاحبته وعمت بعض الدول العربية في مشرقها ومغربها، ورغم امتلاكهم جيشاً قومياً متواضعاً، ومشاركتهم في بعض الحروب التي أشعلها العم سام في المنطقة، إلا أنهم في نهاية الأمر خرجوا من المعركة صفر اليدين، ليعودوا إلى الحكم الذاتي ثانية».

ويمضي الوسيم في نقل الحدث والتعليق على ما أورده الراوي قائلاً: «كانت حالة من الانكسار وخيبة أمل، سرعان ما تنادى لها العم سام، ووجد ضالته في زعيم محلي يدعى الملا البار، ليعقد معه صفقة الوطن الأم، مما أعاد شيئاً من الأمل إلى نفوس الشماليين، فكان مشواراً طويلاً، وخاصة عند المواجهة مع الصديق العثماني الذي يجمعهما حلف عسكري وسياسي دولي قوي واسع الانتشار بين دول أوروبا الغربية، لكن العم سام لا

يعرف صديقاً أو حليفاً أمام مصالحه الاستراتيجية، فقد استطاع أن يفرض إرادته على الجميع، ويمرر خطته الاستعمارية كما يريد في محاولة لإقامة دولة للشماليين، تكون رسالتها الأولى زرع عدو تقليدي للعثمانيين والفرس، منذ أن كان الشماليون مجرد تنظيم سياسي، فكيف الآن بعد أن يصبح هذا التنظيم دولة كبيرة تمتد من شمال أم الطبول إلى شمالي دولة الفرس وأرمينيا مروراً بالشريط الحدودي للدولة العثمانية وبلاد الشام».

وهكذا خرجت دولة الشماليين إلى الوجود، لكنها عليلة ومضطربة، وفي حالة من الصراع والمواجهات الساخنة بين الحين والآخر مع جيرانها العرب والفرس والعثمانيين والأرمينيين، لكن بقوة الإرادة والمواجهة العسكرية، والدعم اللامحدود من العم سام، ودخول الكيان الصهيوني طرفاً في دعم الدولة الجديدة بالمال والسلاح والخبراء، جعل دولة الشماليين دولة خطيرة يحسب لها الجيران ألف حساب، قبل التفكير في القدوم على حرب تحكمها آلاف الأميال، شعب جبلي قوي البنية تعوَّد الاضطهاد ومواجهة المصائب والأعداء سنوات طويلة.

انتقل الملا البار إلى جوار ربه، واستلم ابنه سعود بن بار دفة الحكم في دولة الشمال، ونظراً لأنه لم يكن بقوة والده وصلابته في المواجهات العسكرية والسياسية، فقد توجه إلى الكيان الصهيوني ليعقد معه حلفاً سياسياً وعسكرياً وثقافياً، باركه العم

t.me/yasmeenbook

سام على الفور، وأبدى استعداده لدعم الحلف الجديد وتلبية جميع متطلباته المالية والعسكرية.

هذا التحول الإيجابي السريع في سياسة سعود بن الملا البار نحو الكيان الصهيوني، جعل المستعمر الجديد يطمئن إلى مستقبل الدولة الجديدة لتكون أحد الأعضاء في اتحاد كنفدرالي تحت إشرافه، وبقيادة الابنة العبرية المدللة، وهي النواة المرتقبة لمولد الدولة الكنفدرالية الكبرى في الشرق الأوسط، والتي تجري الاستعدادات لقيامها بجهد مشترك من المستعمرين الجدد الساعين إلى استحداث المزيد من الدويلات الضعيفة للانضمام إلى هذه الدولة العرقية، بهدف التوسع في قاعدتها الجغرافية، وإعطائها شيئاً من الهيبة والقوة.

يقول ناجي الوسيم الكثير السفر والزيارات لأم الطبول لارتباطه ببعض النشاطات التجارية منذ عهد الرفيق منشار الأشـول.. يقول ناجي: «انطلاقاً من العمل على قيام الدولة الكنفدرالية الكبرى، توجه العم سام إلى جنوب أم الطبول، حيث منابع النفط وخيرات الدولة كلها، وشعب ثوري من الأغلبية الشيعية، وهذا هو عنصر الخطر الذي سوف يواجهه العم سام، ما لم يتدارك ذلك بخطة إنسانية تخطف الأبصار وتروض شيعة الجنوب، وتحدث تغييراً في مفاهيمهم الحسينية حيال المستعمر الجديد، باعتباره مستعمراً جاء للبناء والإعمار، ومد يد المساعدة

لشعوب المنطقة، وليس للنهب والاستحواذ على الخيرات والموارد الطبيعية وتركيع الشعوب، كما كان المستعمرون القدامى ينتهجونه في سياساتهم واستراتيجياتهم الاستعمارية».

يقول الراوي، تمشياً مع هذه السياسة الاستعمارية الجديدة، بدأت تظهر في شوارع مدن الجنوب وساحاتها إعلانات ولافتات تبشر بالخير والحياة السعيدة المرفهة القادمة، وتوفير السكن المناسب لأصحاب الدخول البسيطة والمتوسطة، وتوفير فرص العمل للعاطلين، والارتقاء بمستويات التعليم المجاني، والصحة والعلاج المجاني، في محاولة لجعل المنطقة محط أنظار العالم، لما وصلت إليه من مستوى رفيع في مناحي الحياة البشرية، وارتفاع العمر الافتراضي للإنسان، مما سيجعل شعب الجنوب يتطلع إلى الاستقلال وإقامة دولته العصرية الديمقراطية، بدعم ومساعدة العم سام.

وهذا ما حصل كما يخبرنا الـراوي، بأن هذه الشعارات والأمنيات والوعود جعلت الإنسان الجنوبي يتجه فعلاً إلى المطالبة باستقلال إقليم الجنوب، طالما يملك الكثير من مقومات الحياة السعيدة، من موارد مالية متنوعة، واحتياطي نفط لا يقل عن المخزون في منطقة الشمال من الذين شكلوا دولتهم العصرية الحديثة بدعم من العم سام ومساعدته، والتي لا تزال العلاقات بين الطرفين قوية ووطيدة.

t.me/yasmeenbook

وتنفيذاً لهذا التوجه شكل الجنوبيون مجلساً تأسيسياً من مئة عضو من وجهاء المنطقة، وأصحاب رؤوس الأموال والملاك، وزعماء العشائر، قرر الجميع بعد اجتماعات عديدة إعلان مولد دولة الجنوب، وتم تحديد حدودها السياسية، ومواردها المالية، وسياساتها الداخلية والخارجية.

نجاح يتلوه نجاح سريع دون طلقة نار، نجاحات شجعت المستعمر الجديد على المضي في مشروعه الاستعماري الناعم إلى أبعد مدى، وأخذ يعد العدة لإعادة التجربة في المنطقة الوسطى، فأقام دولة مماثلة، تشمل العاصمة ، والمناطق العشائرية مسقط رأس الجنرال الراحل منشار بن بتار الأشول.

ولكون هذه المنطقة التي أصبحت الآن دولة، معروفاً عنها أنها لا تملك أية موارد مالية أو مصادر للإنتاج كغيرها من المنطقتين السابقتين، وتتجلى فيها صور الفقر بوضوح، فقد رأى المستعمر الجديد ضرورة ربطها بمنطقة أخرى مجاورة تعينها على متطلبات الحياة، وقد وجد ضالته في الحدود الشرقية لبلاد الشام، التي تملك شيئاً من الموارد الزراعية والصناعية والنفط والغاز، مما أعطى مجالاً وفرصة لأهالي المنطقة الوسطى للانتقال إلى الجزء الشرقي من الوطن الجديد، بهدف ممارسة التجارة، وتوافر فرص العمل التي بدأ المستعمر الجديد يحرص على توفيرها بكل الوسائل

t.me/yasmeenbook

المتاحة في المرافق والمؤسسات المنتجة في الدولة المستحدثة.

هكذا تمكن المستعمر الجديد من إقامة ثلاث دويلات على أرض أم الطبول، دويلات متنافرة متباعدة عرقياً ومذهبياً وثقافياً، لينتقل بعدها إلى بلاد الشام، ويبدأ في تجزئتها إلى ثلاث دويلات لا يمكن أن تجتمع يوماً على كلمة سواء، بسبب بذور الشر والفتنة التي غرسها المستعمر الجديد في أوصال هذه الدويلات.

لم يقف مشروع التقسيم والتجزئة عند دول المشرق العربي إذا استثنينا دول الخليج العربية التي تعتبر مجزأة أصلاً من قبل المستعمرين القدامى، وخاصة المستعمر العجوز-أبو ناجي، لذا تركها المستعمر الجديد على وضعها، وانتقل مع أعوانه ومستشاريه ومساعديه من الخبراء الخبثاء برئاسة السمراء الهزيلة، الشديدة الذكاء والخبث السياسي إلى دول شمال أفريقيا العربية، للبدء في تنفيذ خطة التقسيم والتجزئة، بدءاً من دولة برنس التي قسمها إلى ثلاث دويلات، بحرية وساحلية، وأخرى تضم مناطق زراعية وآثاراً فرعونية، والثالثة تشمل العاصمة وما يجاورها من مدن وبلدات.

لم يكتفِ العم سام بهذه الخطوات الاجتثاثية لدولة عربية كبيرة لها جذورها في عمق التاريخ، بل سعى إلى امتصاص خيرات البلد وموارده، وأدخلها قائمة الدول المدينة التي لا يمكن أن تشفى من ديونها كالمصاب بالسرطان أو الطاعون، وليس لها

t.me/yasmeenbook

علاج سوى إعلان إفلاسها، أي الموت البطيء، جزاءً وعقاباً لما سعت إليه في السابق من السنوات لجمع شمل العرب في دولة وحدوية بزعامة قائد الأمة وناصرها.

انتقل بعدها العم سام إلى دولة (الليبو)، التي تضم مجتمعاً بدوياً شبيهاً بمجتمع الجزيرة في عاداته وتقاليده وأعرافه، بعد أن تمكن من التخلص من رئيسها الغريب الأطوار والتصرفات، بدعم ومساندة تنظيم دولي عسكري غربي أطلسي (الناتو)، أدخل الخوف والرعب في نفوس أبناء (الليبو) منذ أكثر من عقد من الزمن ولا تزال التسوية ومخاطر الارتداد للمربع الأول قائمة بالدرجة نفسها، والسبب حرب أهلية أشعلها العم سام بين أربعة تنظيمات متناحرة، يسعى كل واحد منها للسيطرة على (الليبو)، وهي جماعات مسلحة خارج السيطرة، وحكومة معترف بها دولياً تائهة، بجانبها حكومة إسلامية بزعامة الأخوان المسلمين، ومجموعة مسلحة أخرى تحظى بدعم دولة برنس ودولة خليجية صديقة للكيان الصهيوني.

انتهت جهود العم سام وتوجت بتمزيق دولة (الليبو) الممزقة أصلاً، وجعل كل مدينة وحارة بيد جماعة من الجماعات الإرهابية الساعية إلى المجد، فالمتصارعون الظاهرون للعيان هم قلة، أما من يعملون في الخفاء ومن وراء الحجاب فهم كثر، فالظاهرون

للعيان يعملون تحت مسمى حكومات وهم تنظيمات مسلحة يمكن حصرها في الآتي:

- حكومة مجلس النواب: (سلطة تشريعية منتخبة في أغسطس 2014م، خلفاً للمؤتمر الوطني العام).
- حكومة الوفاق الوطني: (حكومة منبثقة من الاتفاق السياسي في ديسمبر 2015م، بإشراف المنظومة الأممية).
- حكومة الإنقاذ الوطني: (جسم مشكل من كتل سياسية خسرت انتخابات 2014م، وهي أحد الأطراف الرئيسة في الحرب الأهلية).
- حكومة الوحدة الوطنية: (حكومة مؤقتة انتقالية تشكلت في مارس 2021م، لتوحيد الحكومتين المؤقتة والوفاق).
- تنظيم الدولة الإسلامية: (فرع من الجماعة الإسلامية المتطرفة المعروفة بداعش، وهي مجموعة مسلحة تم تشكيلها في نوفمبر 2014م).
- مناطق تسيطر عليها قوات محلية.

يقول الراوي، لا شك أنها عرس قبلي وحفل مولد ديني، الجميع مدعوون لحضوره والمشاركة فيه، بتشجيع عسكري وسياسي ومالي من الشيخ العم سام، الذي يأمل أن يبقى الوضع كما هو عليه، لأنه نتاج الفوضى الخلاقة والربيع العربي الذي كان

t.me/yasmeenbook

خريفاً مؤلماً، عرس ومولد لا بد من المحافظة على ذكراه كرمز طيب حتى تتهيأ الظروف المناسبة ويستلم العم سام خيوط الأزمة، ويكيفها وفق خططه الاستعمارية الجديدة، بدعم ومساندة أعوانه وحلفائه في المنطقة، وعلى رأسهم الكيان الصهيوني المغتصب.

ومن دولة (الليبو) التي اشتعلت فيها الأزمات مع هبوب رياح الفوضى الخلاقة، التي أشرفت على تطبيق فصولها في العالم العربي القطة السمراء النحيفة، إلى دولة (ترشيش الخضراء) التي عصفت بها أيضاً رياح الربيع العربي، وجعلتها جرداء تعاني التصحر، يواصل العم سام مسيرته الإجرامية، حاملاً مشرط التقسيم والتجزئة على أمل ضياع شعبها في طرق البطالة والتسكع بين مقاعد المقاهي في شارع رئيس الدولة الراحل.

سارع العم سام حال وصوله إلى هذه الدولة التي اجتاحها الربيع العربي، فقام بتقسيمها إلى أربع دويلات، ضماناً لعملية الضبط والربط على قدم المساواة، وأن تظل كل دويلة مستقلة عن الأخرى، مع استبعاد أي فكرة أو نشاط مشترك يجمعهم مستقبلاً، تفادياً لأية روح ثورية قد تقودهم إلى حروب أهلية، فيجعلهم أسوأ حالاً من جارهم (الليبو)، لذا قرر المستعمر العم سام أن يكون الراعي والضامن لمستقبل شعوب الدويلات، يجنبهم أي ورطة سياسية أو فكرة عسكرية، يجعله يفكر ألف مرة مع من يقف من

الشعوب الأربعة، فالجميع هم أبناء مستعمراته، وعليه أن يعاملهم وفق مسطرة واحدة، هذه هي الديمقراطية الإمبريالية.

ويضيف الراوي قائلاً، كان العم سام مسروراً وهو يحقق إنجازاً بعد آخر بسهولة ويسر لم يكن يتوقع أن يحققه بهذه السرعة وفي وقت قصير، وهو يخطو أولى خطواته عند عتبات دولة المليون شهيد دون إخطار سابق كعادته في التعامل مع الدول الحليفة والدول التي تمت تجزئتها أو يريد تقسيمها، وإذا بالحكومة الوطنية تفرض عليه الإقامة الجبرية في سفارة بلاده منذ اللحظة التي دخل البلاد خلسة بعلم سفير بلاده الذي رافقه إلى مقر السفارة.

كانت القيادة في بلاد المليون شهيد على علم مسبق بقدومه لكن ليس خلسة كما حصل، كما كانت القيادة تعلم أنه يحمل في جعبته فكرة التقسيم والتجزئة كما حدث في الدول العربية التي مر بها خلسة ومزقها.

كان ناجي الوسيم سعيداً وهو يسمع هذا الخبر بكامل تفاصيله من صديق يعمل في سفارة بلاده لدى دولة المليون شهيد، معلقاً: «هكذا ظل العم سام سجيناً في سفارة بلاده دون أن يستطيع مقابلة أصغر مسؤول في الدولة يمكن أن يستمع إلى ما يريد أن يقوله، حتى وصل الأمر به إلى الشعور بهاجس الخوف

t.me/yasmeenbook

من الاغتيال أو الاعتقال بمجرد أن يفكر في الابتعاد خطوة واحدة من باب السفارة، هذا الموقف الرافض لوجود شخص مرفوض مهما علا شأنه في بلد المليون شهيد، كان رسالة تلقاها العم سام من حكومة وشعب دولة المليون شهيد، تخبره بأنه ضيف ثقيل وغير مرحب به ودخل البلاد خلسة، وعليه أن يرحل فوراً، فالعالم العربي رغم جرائمه لا يزال بخير».

ويضيف ناجي الوسيم قائلاً: « لم يكن أمام العم سام سوى الاتصال بمستشارته للأمن القومي السمراء اللطيفة النحيلة الخبيثة، طالباً منها سرعة إفادته كيف يتعامل مع هذا الوضع الشائك؟ وكيف يمكن له الخروج من يد قادة هذا الشعب الذي يبدو أنهم ذاقوا وعانوا الأمرين من الاستعمار الفرنسي؟ ولا يريدون أن يتكرر الاستعمار ثانية في حياتهم، إن لم يكن كلمة المستعمر بات عدواً لدوداً لهذا الشعب وقيادته!!».

جاء الجواب بسرعة البرق من المستشارة التي تملك الدواء لكل داء: «أخرج منها يا ملعون!! عفواً سيدي الزعيم، هذا بلد المليون شهيد، لا مانع لديهم من تقديم مليونين آخرين من الشهداء وليس مليوناً واحداً في سبيل إخراجك من المنطقة التي بذلت فيها الكثير من الجهد حتى استطعت أن تحقق هذا النجاح والإنجاز الباهر، ولم يبق أمامك سوى القليل، اترك هذا البلد الثوري العنيف

بطبعه واخرج منه حالاً، وسوف نجد لموقفه الصلب والصعب مخرجاً مناسباً يجعله يركع يوماً على قدميه أمامك!!».

ويستمر ناجي الوسيم في نقل ما استمع إليه من زميل يعمل في السلك الدبلوماسي في سفارة بلده هناك قائلاً: «في محاولة من السفير لإخراج زعيم بلاده سالماً كريماً محترماً من الوضع الذي هو فيه، كان رد القيادة في دولة المليون شهيد، بأنه لا مانع لديهم من خروجه بصحبتكم ومعكم جميع أعضاء سفارة بلادكم، لأنكم أصبحتم منذ لحظة دخول زعيمكم البلاد بصورة مستترة، بقصد الترتيب لتخريب بلادنا وتمزيق كيانه، منذ تلك اللحظة قررنا أنكم أشخاص غير مرغوب فيكم في هذا البلد المناضل عبر التاريخ، وعليكم جميعاً الرحيل بهدوء، وإلا ستصبحون سجناء في سفارة بلادكم، كما أصبح حال سفيركم وأعضاء سفارتكم، وكانوا أكثر من خمسين دبلوماسياً من الجنسين، ظلوا محتجزين كرهائن في بلاد فارس مدة شهر ونصف الشهر، ونحن لا نريد لكم أن تكونوا كذلك!!».

خرج العم سام وأعضاء سفارة بلاده من بلد المليون شهيد عائدين إلى بلادهم بخفي حنين دون أن يستكمل الزعيم والوفد المرافق بقية برنامجه التآمري، ولم تتح له الفرصة لزيارة دولتين أخريين هما (موغرب) وبلاد (شنقيط)، لكنه كان مطمئناً لمواقفهما السياسية، ويعرف جيداً أنهما حليفان مخلصان، وأن دولتيهما لا

t.me/yasmeenbook

تحتاجان إلى تقسيم أو تجزئة كالدول التي مر بها وكانت عليلة وتحتاج إلى عمليات جراحية دقيقة وصعبة، لكن عند الحاجة فإن الأمر سيكون في منتهى السهولة واليسر.

يعود الراوي فيخبرنا، أنه تزامناً مع طرد العم سام وأعضاء سفارة بلاده من بلد المليون شهيد، أخذت وسائل الإعلام العالمية في القارات الخمس تسلط الضوء على رحلة العم سام الاستعمارية في الشرق الأوسط، وما لحق به من عار وتشويه سمعته في بلد المليون شهيد، وكأنه اقتحم بلدهم ليحيي ذكرى المستعمرين القدامى الذين ولى عهدهم، ولم يبق سوى تاريخهم الأسود، وأصبحت ذكراهم مجرد مشاهد ونماذج تذكر في أدبيات التقارير التي تكتب عن حقوق الإنسان، وخاصة في أفريقيا وبعض دول آسيا وأمريكا اللاتينية.

ثم يذكرنا الراوي أيضاً، بأن ما حصل كان شيئاً من الكوارث التي خلفها الجنرال منشار بن بتار الأشول بعد رحيله الكارثي الذي حل بالعالم العربي بعد احتلال بلده أم الطبول، لاشك أنه كان بمثابة سد منيع أمام الخطط والإستراتيجيات المعتمدة لدى العم سام وزعماء دول أوروبا الغربية عامة في الشرق الأوسط، رغم الهمس الخفي بأنه عميل للعم سام، وأنه متعاطف مع سياساته في المنطقة إلى أبعد الحدود، وأنه المتهم الأول الذي مهد الطريق أمام المستعمر الجديد لاحتلال بلده، والعبث بالدول

العربية من مشرقها إلى مغربها، مما جعل أم الطبول عند سقوطها تأخذ بأذيالها الإجماع العربي إذ كانت تمثل القوة والممانعة في حماية جبهات الأمة، والنضال من أجل استرجاع الوطن السليب.

انتهت مرحلة من تاريخ الأمة بسقوط أم الطبول، والسبب الجنرال منشار الأشول، المنفلت بأفكاره الصبيانية وعنترياته الميدانية العسكرية التي استغلها العم سام أنجع وسيلة وأقصر طريق لإطاحته، وإنهاء وجوده ودوره الريادي في الشرق الأوسط، مثلما كان يراه عقبة كأداء أمام التحولات الجيو- سياسة التي خطط لها هو وحلفاؤه الغربيون والمحليون في الشرق الأوسط، الأمر الذي دفعه لنصب كمين لأصطياده بالجرم المشهود كأعظم مجرم في التاريخ، كانت نتيجتها سقوط أم الطبول وسقوط العرب معها، شُنِق منشار الأشول، وأسدل الستار على مرحلة قاسية مدمرة مرت بها المنطقة.

لقد انتهت مرحلة ستظل في ذاكرة القادة العرب وهم يحكمون شعوبهم بمنطق القوة والجبروت، ويتعاملون مع المستعمرين الجدد بمنطق اللين وأداء فروض السمع والطاعة، لعل الجزء القادم من روايتنا يحكي لنا شيئاً عن التحولات الجيو- سياسية التي تم ترتيبها وصاحبت رحيل الجنرال منشار ابن بتار الأشول وسقوط أم الطبول.

t.me/yasmeenbook

11

نهاية المستعمر الجديد والعبرية المدللة

سقطت أم الطبول بمؤامرة دولية يتزعمها العم سام، وقطع رأس الجنرال منشار بن بتار الأشول، ورحل عن عرش الجهل والغباوة وخدمة المستعمر الجديد، فضاع العرب من المشرق إلى المغرب، وتاهوا في أودية وسراديب ودهاليز العم سام ومستعمري القرن الحادي والعشرين، جميع هذه الجرائم الدولية حدثت على مرأى ومسمع المنظومة الأممية وهي غارقة في سبات عميق.

عبارات تكررت كثيراً، وشعارات رفعت في الاحتجاجات والانتفاضات الثورية، والهدف كان دائماً منع المستعمر الجديد التغلغل في العالم العربي، كمنع شخص غريب سيئ السمعة عشق فتاة جميلة من أسرة محبة للسلام، فتاة تتمتع بملامح وصفات تستحق النضال والتضحية من أجل الوصول إليها، مهما كان موقف أسرتها وذويها من الغريب بالرفض والتعنت من زواج ابنتهما من هذا الغريب الذي قطع مسافة أميال عبر خلالها جبالاً

t.me/yasmeenbook

ووديان، وبحاراً ومحيطات، من أجل الوصول إلى معشوقته التي لم يلامسها في حياته ولو بتحية عابرة، لكنه كثيراً ما تحدث إليها في منامه، واتفقا على تكوين أسرة نموذجية يفتخران بها أمام العالم، فالمحب غربي رأسمالي شرس، كاثوليكي بروتستانتي صهيوني العقيدة، والمعشوقة مسلمة سنية مالكية حنبلية، شافعية، حنفية، شيعية اثنا عشرية، زيدية، إسماعيلية، علوية، إباضية.

رغم هذا الاختلاف في العقيدة، فقد ظل العشيق الغريب يناضل ويتآمر من أجل الوصول إلى معشوقته التي تملك الكثير من الإمكانيات المالية والمصادر الاستراتيجية للدخل، وموقعاً جغرافياً يحسد عليه، هذه الإمكانيات والسمات الجمالية جعل المعشوق يصر على مواصلة الجهود بشتى الطرق الشريفة وغير الشريفة للوصول إلى محبوبته، رغم المكانة السياسية التي يتمتع بها في العالم كزعيم لأعظم دولة.

وفجأة تنفتح الأبواب المغلفة دون عناء أو صراع، وتسقط الحواجز والموانع تلقائياً مع سقوط أم الطبول، شنق الجنرال منشار الأشول، ويحصل التقارب والترحيب مع هذا السقوط وكأن هذا المخلوق لم يكن ذلك الإنسان المرفوض، المدعو العم سام الذي يتمتع اليوم بمكانة غريبة وعجيبة في العالم العربي، تتأرجح بين القبول المطلق والرفض الخجول، بل إنه أصبح صاحب الأمر

t.me/yasmeenbook

والنهي في الشرق الأوسط، وأفرد مكانة رفيعة لرفيقة دربه العبرية المدللة، وفسح لها المجال للتوغل في مفاصل معظم الدول العربية في مشرقها ومغربها، وعلى وجه الخصوص في بعض دول الخليج العربية الثرية، وأصبحت كواحدة من أهل البيت!!

ناجي الوسيم يعلق على مجمل ما فات قائلاً: «مشوار طويل وبريء مشاه العرب من أوسلو إلى كامب ديفيد إلى وادي عربة، جعل كل عربي يشعر حينذاك وكأن الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس ستتحقق في الغد، ولكن لا شيء من هذا القبيل ظهر في الأفق يسر خاطر الإنسان العربي الساذج، عدا مشهد مؤلم يدخل الحسرة والغمة في نفس كل عربي، مشهد مؤسف ومزعج أصبح يلاحق الإنسان العربي في كل لحظة، وهو يتابع المحطات الفضائية ووسائل الاتصال الحديثة، ويشاهد الإنسان العربي وقد أصبح مطية وهو يحتضن ابن العم الصهيوني، وينزل به القبلات وكأنه أقرب المقربين افتقده منذ زمن بعيد».

ويظهر أبو السرور العتيبي في المشهد فجأة بعد غياب طويل عن مسرح الأحداث ليرد على زميله ناجي الوسيم قائلاً: «كم كنت أتمنى بأن اللقاء الذي ذكرته وقف عند حدود اللمس والضم والقبلات، وإنما الأمر تجاوز ذلك إلى وقائع خطيرة ومخجلة، إذا

استمرت وتضخمت وتوالدت، فإن على أجيالنا العربية السلام، وعلى الأوطان اللطم والبكاء.

إن خوفي الشديد يا وسيم أن نرى أجيالنا القادمة مجرد صبية يعملون في ورش ومصانع ومؤسسات أبناء العمومة مقابل ملاليم من النقود لا تسد أفواه أسرهم، ذلك لأن الوطن لم يعد وطنهم، وسيد القوم ليس من بني جلدتهم، إنه أوروبي أشقر الملامح، أسود المشاعر، رمادي العقل والفكر، مسخ العادات والتقاليد والأعراف التي كنا نعتز بها ونلتزم بتطبيقها قبل أي قانون مدني، فقد سحقت بالأقدام، وأصبحت جميعها من المحرمات، وعناوين عريضة تذكر الأجيال بسماحة الآباء والأجداد وسذاجتهم في التعامل مع معطيات الحياة وأسبابها، أما الموجود والمتوافر اليوم، هو ما يقدمه ابن العم الصهيوني، ويتمنى علينا أن نستوعبه على علاته ونطبقه جيلاً بعد آخر.

كانت علامات الدهشة والاستغراب تعلو وجه الزميل ناجي الوسيم وهو يقاطع زميله أبو السرور قائلاً: «صحيح ما تقول، وإن مؤشر دمار الأوطان يتجه إلى أبعد من ذلك!! أبسطها أخي العزيز الاتفاقات الفردية والجماعية التي أخذت تبرم بين الفعاليات السياسية والاقتصادية والثقافية مع أبناء العمومة، من خلال

t.me/yasmeenbook

شركاتهم ومؤسساتهم الاقتصادية والمالية، ومصانعهم المتنوعة الإنتاج، والتي تجعل البعض منا يشعر وكأننا أصبحنا على أعتاب الدولة العميقة التي يستلم فيه الصهيوني زمام الأمور، بل قد يذهب فكرنا إلى أبعد من هذا، عندما نشعر بأن أوطاننا بدأت تخطو أولى خطواتها نحو طريق الزوال!! وأن الزحف التوراتي قد تلقى الضوء الأخضر من قيادته، بأن الطريق بات سالكاً أمام تحقيق دولته الكبرى بمشاركة المغفلين من أبناء عمومتنا الذين لا تهمهم الأوطان بقدر ما يهمهم المال والوجاهة والقصور والحياة الباذخة، وهذه كلها أمور سهلة وميسرة، ولن يبخل العم سام في توفيرها وتمويلها، كما سبق وأن موَّل مشاريع كثيرة مشتبهاً فيها، ودعم مشاركات بعض دول المنطقة في مناسبات احتفالية صهيونية وطنية ودينية، أو المشاركة في مناورات عسكرية مشتركة، أو القيام بمسيرات مشتركة تندد بالانتفاضات الوطنية التي يقوم بها الفتيان الفلسطينيون».

من الملاحظ أن ما أشار إليه الزميلان لم يعد مقتصراً على دول خليجية معروفة للعالم أجمع، بعد أن رفعوا عن أوجههم برقع الحياء السياسي، وإنما امتد الأمر إلى دول عربية مشرقية ومغربية أخذت تهرول وتتسابق من أجل كسب رضى العم سام بالتقرب من ابنته العبرية المدللة، بعد أن كان اللقاء بأي صهيوني

t.me/yasmeenbook

على انفراد ولو بصورة عابرة أثناء المؤتمرات الدولية جريمة يلحق بصاحبها تهمة العمالة، واليوم يعتبر الترحيب بالصهيوني وأخذه بالأحضان والقبل مفخرة وتحضراً ودعوة للسلام.

إن المواجهات التي نشاهدها على أرض فلسطين المحتلة عبر الفضائيات في كل لحظة وثانية، والتي تثير الحسرة والغُمة وتعصر القلب، هي أعمال نضالية فريدة لابد من دعمها والإشادة بها في كل محفل، أمام مشاهداتنا لأعلام الكيان الصهيوني جنباً إلى جنب مع الأعلام العربية، وتحديداً بعض الأعلام الخليجية أثناء المواجهات مع شباب فلسطين الذين لا يملكون سوى الحجارة، تعتبر في نظر هؤلاء العرب المتخاذلين مفخرة وتحضراً ودعوة للسلام.

إنها صرخة من القلب والوجدان (آه يا زمن)، فقد انقلبت الموازين ومعايير الحق والسلام والتحضر، فأصبح صاحب الأرض وثورته ضد الظلم والطغيان والاحتلال هو العدو المعتدي، وأصبح المحتلون القادمون من شتات العالم هم الأخوة المخلصين، وأبناء العمومة المجني عليهم.

هذه التحولات السريعة التي قلبت المفاهيم والموازين العربية، ليصبح العدو صديقاً حميماً، والأخ والصديق هو العدو، وهو أمر لم يحصل اعتباطاً، وإنما ساهم في صناعته ونشره في

t.me/yasmeenbook

العالم العربي رياح سقوط دولة أم الطبول المسمومة، وزوال منشار بن بتار الأشول من الوجود، رغم التحفظات العديدة على سلوكه الشخصي، وممارساته السياسية، وعلاقاته السيئة بجيرانه، وتهوره أمام مجمل القضايا المحلية والإقليمية والدولية الساخنة التي خلقت صداعاً مزمناً للعالم العربي، منذ لحظة دخوله أراضي جيرانه الفرس، وخروجه منها مهزوماً فاشلاً، واحتلاله لدولة السلام الشقيقة دون سبب وجيه، اللهم محاولته علاج خطأ عظيم بخطأ أعظم وبنصيحة من العم سام.

ويبقى السؤال الملح.. كيف الخروج من هذا المأزق الذي كبل أمة بكامل عددها، عبارة كان يرددها الصحفي أبو السرور على زميله ناجي الوسيم كثيراً، لعله يجد عنده الجواب الذي يشفي العليل ويروي الغليل؟

كان الجواب الذي يتلقاه دائماً من الزميل: «أن مصيبة الأمة ليست في الصراعات الدائرة بينهم فقط، وإنما بالدرجة الأولى في بعض القادة الذين استلموا زمام السلطة مصادفة وهم غير ناضجين سياسياً، ولا مدركين لأبعاد الصراعات الدولية الشائكة، ولا مستوعبين الخطط الاستعمارية الجديدة ومراميها الخطرة التي تحاك ضد دولهم وشعوبهم، لأنهم في سبات عميق، معتمدون على ثرواتهم التي ستكون يوماً في طريقها إلى الزوال،

t.me/yasmeenbook

كما حصل للملك قارون وهو أحد أغنى الأغنياء من قوم موسى، الذي كانت مفاتيح خزائنه تكاد تكون عصية على شخص واحد لحملها، وكان ظالماً على قومه، ورحيماً بأعداء أمته، والسبب الثروة والمال الوفير الذي لا يُعد ولا يحصى في خزائنه، لكن نهايته كانت مفجعة، وعاقبته كانت مشينة، عندما خسف الله به الأرض، وخسف عليه داره التي كان يتباهى بها».

يقول الراوي، إن المتأمل في حكاية الملك قارون، وفي نهايته المؤلمة، والعقاب الذي عاقبه الله به، قد يُستخلص من هذه الحكاية الكثير من الدروس والعبر، نذكر منها:

- عدم الاغترار بالأموال والخزائن والأملاك والفرح بها، فهي عطايا من رب العالمين يسلبها من عبده إن شاء.
- الحذر من البغي في الأرض، والتطاول والتكبر، وظلم البشر وبني الجلدت.
- الأبتعاد عن التمييز في الفكر والعطاء، والشعور بالأفضلية، وأن الجميع تحت قبضته ورحمته.

هذه الدروس والمحذورات باتت اليوم عناوين بارزة في سلوك قادة الأمة، فكيف يطلب منهم الفزعة لإنقاذ الأوطان وخلاصها من يد المستعمر الجديد، الذي أصبح اليوم الأب الروحي للأمة، وصاحب الكلمة العليا المطاعة؟

t.me/yasmeenbook

يبدو أنها حالة من اليأس قد أصابتك أيها الصديق العزيز، قالها أبو السرور العتيبي، وهو يسترسل في الحديث والتعليق والتحليل قائلاً: «ما من أمة تزول من الوجود طالما بقي منها شريحة قوية مناضلة، وعليك ألا تنظر دائماً إلى رأس الهرم، لأنه معرض إلى الزوال، وأن اهتمامك يجب أن يكون موجهاً إلى القاعدة، وتأمل فيها الخير كله، وكن دائماً على يقين بأن من يتولون القيادة ويقودونها في طريق الخطأ لن يطول بهم الزمن وهم متربعون على كرسي القيادة، ففي الغد قد يأتي من هو الأفضل قوة ووطنية واحساساً بالوطن وبالأمة اللذين ينتمي إليهما، أما من رحبوا بالأعداء الصهاينة، وسمحوا لهم بالتوغل بين صفوف المواطنين وصفوف الأمة، فهم في طريقهم إلى الزوال غير مأسوف عليهم، وسوف يلعنهم التاريخ أية لعنة، بل سيصبحون سبة في جبين أبنائهم وأحفادهم أينما ذهبوا، ولعنة يشار إليها بالبنان، هؤلاء هم أبناء وأحفاد أولئك الذين تربعوا يوماً على كرسي الحكم وأساؤوا إلى الشعب وورطوا الوطن في مشاكل ومصائب لا تُعد ولا تُحصى».

علينا أن نتمهل رويداً لنرى كيف تسير تلك الخواتم كما يقول الراوي، الذي أكد مراراً بأن هذا الحراك السياسي الصهيوني الذي تشهده منطقة الخليج العربي تشبه تماماً ما حصل في فلسطين

t.me/yasmeenbook

المحتلة قبل أعوام من النكبة، ولكنه لن يستطيع أن يحقق ما حققه في الأرض المحتلة،وسيأتي اليوم الذي سيرحل عن منطقة الشرق الأوسط، وستعم الفرحة العالم العربي، عندما تتمكن المقاومة الشبابية في فلسطين المحتلة، والداعمون لها من خارج الأرض المحتلة من طرد الصهاينة، ودفعهم للهروب عن كل شبر من أرض فلسطين والأراضي العربية المحتلة الأخرى، ليعودوا إلى الأوطان التي أتوا منها، عندئذ سنلاحظ أن الصهاينة المقيمين في بعض الدول العربية يتبعونهم تلقائياً، خوفاً على حياتهم ومستقبل أسرهم، من ثورة مشابهة يقودها شباب الخليج العربي كالتي حدثت في فلسطين المحررة.

التقى الصديقان أبو السرور العتيبي وناجي الوسيم ثانية، ليتداولا فيما ذهب إليه الراوي، نظراً لأهمية المحاور ووجهات النظر التي تم طرحها، فالتاريخ كثيراً ما يعيد نفسه بأساليب وطرق مختلفة، قد تكون أفضل أو أسوأ من سابقتها، كما حدث ذلك في أكثر بقعة من بقاع العالم.

وهذا ما ذهب إليه ناجي الوسيم في مداخلته عندما علق قائلاً: «إن المقاومة الشبابية في الأراضي العربية المحتلة، وتحديداً في الداخل الفلسطيني المحتل، إذا تمكنت من إجبار الصهاينة على الرحيل، من كل شبر في الأراضي العربية التي تحتلها، فإن العم

t.me/yasmeenbook

سام هو الآخر مجبر على الهروب، خوفاً على حياته وحياة من معه من مساعديه وخبرائه ومستشاريه وجنوده، كما حصل في جنوب شرقي آسيا التي خرج منها صفر اليدين حاملاً نعوش قتلاه، وخروجه مهزوماً من دولة الملالي الحفاة، وتحريم النساء من التعليم، حافياً مثلهم، بعد أن ترك وراءه المليارات من العملات الصعبة التي أنفقها ولم تجد نفعاً».

صاح الزميل الصحفي كعادته منتشياً بأعلى صوته للكلمات والعبارات الوطنية الثورية التي أطلقها زميله ناجي قائلاً: «لقد أبدعت يا ناجي في هذا التعليق الحماسي المتفائل، الذي أتمنى من كل جوارحي أن يتجسد يوماً على أرض الواقع، وأنا أشاهد الصهاينة يفرون إلى دول الشتات التي قدموا منها، كما أتمنى أن تغلق الأبواب في وجوههم، خوفاً من تكرار ما حدث في فلسطين والأراضي العربية الأخرى التي احتلتها، كما أتمنى أن يقهر العم سام ويموت بقهره، ويندب الأعوان والحلفاء والموالون حظهم العاثر، وهم يبحثون يميناً وشمالاً عن زعيم غربي قوي يرعاهم ويضمهم في جنباته، ويدافع عنهم عند الملمات والأزمات، ويحميهم من العدو المجهول!!».

ويمضي الصحفي أبو السرور بالهمة والحماسة نفسها قائلاً: «كم أتمنى أن تعود أم الطبول، وتبعث من جديد، قوة عربية عظيمة،

تسعى بقوة وحماسة إلى جمع شمل العرب، بعد أن تخلصت من المستعمر الجديد، الذي ولى الأدبار وصفى قواعده العسكرية، ولم يعد للعم سام وجود في الشرق الأوسط، بعد أن عبث في كل ركن وزاوية وحارة فيها طوال عقود من الزمن، رحل ولم يعد يحمل بلاده لقب القطب الأول والوحيد أو القطب الأوحد، بل أصبح جزءاً من دول العالم الثالث، يطرق كغيره من المحتاجين أبواب الكبار والأثرياء طلباً للمساعدة، دون أن يجد من يعينه ويساعده على مصائبه، بل يسمع دائماً كلمات وعبارات الشماتة من بينها (عساكم بهذه الحالة وردة)، كلمات تلاحقهم وتسبقهم أينما توجهوا لطلب المساعدة، إنها نتاج سياسات الفجور والتعالي وقهر الشعوب، سياسات المستعمر الجديد.

هكذا عادت الأجواء العطرة الرطبة إلى جميع أنحاء العالم العربي، أجواء تحمل نسمات الربيع العربي الحقيقي، وليس خريف المستعمر الجديد الذي ولى مع رياح السموم.. ربيع يحمل الأمن والسلام، والحرية تحت ظلال ديمقراطية، وقيادة سياسية عادلة عمت إقليم الشرق الأوسط والعالم العربي بعيداً عن الصراعات والحروب الباردة والساخنة، بعد أن رحل عن الإقليم عناصر الشر والدخلاء والمستعمرون الجدد.

ويختتم الراوي حكاية أم الطبول بخاتمة عظيمة لم تكن في

t.me/yasmeenbook

الحسبان، عندما نهضت من جديد بصورة أفضل مما كانت عليها، لتقيم دولة الوحدة العربية التي جُمِعت تحت مظلتها ثلاثة اتحادات عربية فيدرالية، في خطوة جريئة لم يشهدها العالم العربي من قبل.

هذا الإنجاز الجبار الذي أتى على يد أحد أبناء أم الطبول يدعى رعد بن سرمد القهار، أعاد مجد العروبة إلى قواعدها الأصلية، ماسحاً الآثار السيئة والمؤلمة التي تركها الجنرال منشار ابن بتار الأشول في ذاكرة الأمة العربية، كأكبر عابث في مقدرات الأمة وتاريخها المجيد.

وينهي الراوي خاتمة الرواية بالقول، ألم أقل لكم إن هذه الأمة مهما اختلفت وتصارعت وتقاتلت، فإن حنينها إلى الوحدة وجمع الشمل العربي كالدم الذي يجري في عروق شعوبها، وإنه سيأتي اليوم الذي نرى فيه وحدة الأمة قد تجسدت حقيقة ماثلة أمام أعيننا، عندئذ سيركع الجميع ويسجد لله خالق البشر الذي زرع نزعة العروبة والوحدة العربية في نفوس ووجدان كل عربي صادق وأمين ينشد الوحدة والعزة لأمته العربية.

ياسمين
قصص
روايات